الفصل السادس

مساهمة الشعراء والأدباء البارزين في المهجر الشمالي

١- (ا) أمين الريحاني: حياته

(ب) أمين الريحاني: مؤلفاته

٢- (ا) ميخائيل نعيمة: سيرته

(ب) ميخائيل نعيمة: آثاره الأدبية

٣- (ا) نسيب عريضة: حياته

(ب) نسيب عريضة: أعماله الأدبية

٤- ندرة حداد: حياته وفنه

٥- رشيد أيوب: حياته وشعره

٦- عبد المسيح حداد: حياته وفنه

١- أمين الريحاني (١٨٧٦-١٩٤٠)

حياته

هـــو أمـــين ابن فارس بن أنطون بن عبد الأحد البجاني الريحاني وُلد في قرية الفريكة بلبنان في ٢٤ نوفمبر ١٨٧٦م. وتلقى دراسته الإبتدائية في مدرسة الفريكة.[١] وتلمذ على الخوري مرقس في كنيسة مار مارون ثم إنتقل إلى مدرسة المعلم مكرزل، مؤســـس جريدة "الهدى". وهاجر مع عمه ومعلمه نعوم مكرزل إلى نيويورك في عام ١٨٨٨م،[٢] عـــندما كـــان ابن الثانية عشرة والتحقق بمدرسة راهبات المحبة بنيويورك لدراسة اللغة الإنكليزية ودرس فيها لعام واحد ثم اشتغل بالتجارة مع أبيه وعمه. ولما كـــان في السابعة عشرة من عمره انصرف إلى التمثيل المسرحي وعمل مع فرقة تمثيلة نحو ستة أشهر. ورحل إلى بلاد كثيرة في أمريكا ثم عاد إلى التجارة مع أبيه وعمه من جديد وفي نفس الوقت التحق بمدرسة ليلية لدراسة الحقوق في أمريكا كما استمر أن يطـــالع الكتب الإنكليزية والفرنسية مثل كتب "دارون" (Darwin) و"سبسنر فولتير (Voltare)، وهيوجو (Hugo) وغيرها وظل يواصل دراسته باللغة العربية وأخذ يكتب آراءه وخواطره في جريدة "الهدى" التي كانت تصدر عن نيويورك وقتئذ.[٣]

ولما مرض امين الريحاني عام ١٨٩٨م أرسله أبوه إلى لبنان للعلاج هناك عمل مدرساً للغة الإنكليزي في مدرسة "قرنة شهوان" القريبة من الفريكة وفي نفس الوقت

---

[١] الدكتور عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٣٣٤

[2] Julie Scott Meisami and Paul Starkey, "Encyclopedia of Arabic Literature", vol.2, p. 662

[3] د. عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٣٣٥

تعلم اللغة العربية لأنه كانت ضعيفة فيها وطالع لزوميات أبي العلاء المعرى[1] وأعجب بها إعجابا ورجع إلى أمريكا بعد خمسة أعوام عكّف على ترجمة أفكار المعرى وآرائه إلى الإنكلـــيزية ودرس التاريخ العربي من كتب المفكرين والمؤرخين من الإنكليز مثل كارلائل (Carlyle) وفي ذكر ذلك في مقدمة كتابه "ملوك العرب":

عـــدت إلى بـــلادي كئيبا ... وكنت لا أعرف من لغتي وآدابها غير اليســـير، فتغلغلت في سراديبها دون أن أرى رحالي. وبينا أنا أتخبط في ديـــاجي اللغة عشرت على كتاب شعر إنساني الكسائي وسيبويه وكل من علم حرفا في البصرة والكوفة.

"جمعـــني الله سبحانه وتعالى بأبي العلاء المعرى، بعد أن هداني بواسطة الفيلسوف الإنكليزي – كارليل- إلى الرسول العربي. قرأت اللزوميات معجـــبا بها، ثم قرأتها مترنحا، ورحت أفاخر بأني الأمة التي نبغ فيها هذا الشاعر الحر الجسور الحكيم.

"كـــان كارليل أول من عاد بي من وراء البحار إلى بلاد العرب أجل، وقـــد يستغرب قولى إني عرفت بواسطة الكاتب الإنكليزي الكبير سيد العرب الأكبر النبي محمداً، فاحست لأول مرة بشيء من الحب للعرب، وصرت أميل إلى الاستزادة من أخبارهم...

"ثم في غزواتي للكتب الإنكليزي غنمت كتابا استوقفني ظاهره الفخم،

---

[1] أبو العلاء المعرى(٩٧٣-١٠٥٧): وُلد في معرة النعمان. هو شاعر مفكر وفيلسوف في العصر العباسي. فـــدرس في حلب وطرابلس وأنطاكية وعاش في المعرة معتزلا العالم متزهداً. كان دقيق العاطفة ثاقب العقل دقـــيق الاحساس، متبرما بالناس والدنيا كثير التشاؤم. ومن مؤلفاته "سقط الزند" و"اللزوميات" في الفلسفة العلائية و"رسالة الغفران" وغيرها.

وراقتني الصور فيه وما كان العنوان لينبئني بشيء أكرمه أو أحبه قرأت كتاب "الألهمبرا" فأدركت أن المؤلف يريد بالعنوان "الحمراء" وعرفت أن الحمراء هي لؤلؤة تاج العرب في الأندلس.[1]

أمين الرحياني: مؤلفاته

كـــان أمين الريحاني كاتبا وشاعرا مصلحا إجتماعيا ووطنيا وداعية قوميا كما كـــان فيلســـوف الفريكة والرائد الأول لأدب المهجر وصاحب المدرسة الاستقلالية الأولى في الأدب العـــربي. هذا وإنه صاحب رحلات كثيرة ومؤلفات وافرة. وراحل إلى بلـــدان كثيرة شرقا وغربا وعبر بحر الظلمات (Atlantic Ocean) أكثر من عشرين مـــرة وتجول في الأقطار العربية. فزار ملوكها وأمراءها وعاشر شعوبها كما تجول في بـــلاد الغـــرب الأروبية والأمريكية.[2] ولـــه مؤلفات لا تقل عن خمسين كتبا بعضها باللغـــة العربـــية وبعضها باللغة الإنكليزية ومعظمها ظهرت في حياته وبقية أصدرها أخـــوه ألـــبرت الريحاني بعد وفاته في سنة ١٩٤٠. وبدأ الريحاني حياته الأدبية بكتابة "التساهل الديني" طبع في فيلادلفيا عام ١٩٠١م.

لم يبدع أمين الريحاني الإنشاء في مؤلفاته المهجرية قدر ما أبدعه في الكتب التي تلـــتها ولاسيما في "الريحانيات" و"ملوك العرب" و"مجموعته من الشعر المنثور بعنوان "هـــتاف الأدويـــة" ولكـــن فضله الذي لا ينهى فيها أنه أول من هز العصا في وجه الجـــامدين المتزمتين في الأدب العربي فعبد الطريق لمن جاء بعده. وهو أول من أيقظ الوعـــى في حـــوالي المغتربين وفتح عيونهم على آفات المجتمع وسبل الإصلاح إن فانه

---

[1] نقلا عن: عيسى الناعورى، أدب المهجر، ص٣٣٥ وما بعدها

[2] Julie Scott Meisami and Paul Starkey: Encyclopedia of Arabic Literature, vol.2, p 662

التوفيق في الإنشاء لم يفته التوفيق في التأثير.[1]

ألـــف أمين الريحاني كتبا كثيرة باللغة العربية والإنكليزية عن رحلاته العديدة وتـــاريخ العـــرب والأدب العربي والإصلاح والسياسة والقومية وما إلى ذلك. فأهم مؤلفاته الأدبية والتاريخية كما يلي:

١) "تاريخ الثورة الفرنسية" فهو طبع في نيويورك سنة ١٩٠٢م.

٢) "المحالفة الثلاثية" طبع في نيويورك سنة ١٩٠٣م. وفيه حمل الريحاني على رجال الدين وعلى التعصب الطائفي.

٣) كـــتاب "المكاري والكاهن" الذي طبع في نيويورك سنة ١٩٠٤م فهو الآخر ثورته التهكمية على رجال الدين.

٤) ترجمة "اللزوميات" لأبي العلاء المعري إلى اللغة الإنكليزية.

٥) رواية "زنبقة الغور" باللغة العربية التي طبعت في نيويورك سنة ١٩١٥م. وهي تعالج أشياء من صميم حياة الشرق العربي.

٦) رواية "خارج الحريم"، نشرت في نيويورك سنة ١٩١٥م وهي تعالج عن مشاكل العرب السياسية والقومية والإجتماعية. فصور الريحاني في هذه الرواية كيف كان الألمان يتحكمون في أمور الشرق العربي خلال العهد الـــتركي. هذا وهي دعوة للمرأة العربية المحجبة إلى الخروج على تقاليد الحجاب وإلى المشاركة في الأعمال الوطنية بجرأة وقوة.[2]

٧) "الريحانـــيات" ديوان الريحاني الشعري الذي نشره في أربعة أجزاء، الجزء الأول والـــثاني مـــن بيروت عام ١٩١٠ و ١٩١١ على التوال والجزء

---

[1] جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص١٦٤

[2] عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٣٣٧

الثالث والرابع كذلك من بيروت سنة ١٩٢٣ و١٩٢٤م. وفيه عبارات نـــثرية قصيرة الخيال الشعري الجميل وفيه روائع من أدبه الجميل. كما نجد في هذا الديوان شعره المنثور.

٨) "انـــتم الشعراء"، طبع في بيروت عام ١٩٢٣م ورد في هذا الكتاب على دعاة "الفن للفن وكان قائلا بان الفن لخدمة الحياة والبشر.

٩) كـــتاب "ملوك العرب" (في جزئين) وهذا الكتاب من أكبر المراجع والمصـــادر العربية في تعريف العرب بعضهم بعضا ويصور فيه أحوال الأقطـــار العربـــية وشـــعوبها وظروف معاشهم وعاداتهم وتقاليدهم ووســـائل حياتهم. فيقول الدكتور عيسى الناعورى عن هذا الكتاب وكتبه الأخرى:

والـــريحاني بهذه المؤلفات (تاريخ نجد الحديث- قلب العراق- قلب لبنان- المغرب الأقصى،- ابن سعود ونجد- حول الشواطئ العربية- بـــلاد الـــيمن) لا يزال من أكبر المراجع العربية- إلى يومنا هذا- في تعـــريف العـــرب بـــبلادهم. ودراساته للبلاد العربية ما تزال تدعى بالمحميات- وهي في كتابه "ملوك العرب" — لا تزال من أوفى المصادر العربـــية في الـــتعريف بتلك البلاد العربية. ولعل الريحاني كان بهذه الـــرحلات أول مـــن فكر من العرب، في عصرهم الحديث، في أن الوحدة العرية لا يمكن أن تقوم دون أن يعرف العرب بعضهم بعضاً، ودون أن يعـــرفوا الظروف المختلفة والبيئات المتباينة التي يعيش فيها كـــل قطـــر من أقطارهم؛ وبكلمة أخرى، لا يمكن تحقيقها عن غير طـــريق الدراسة الوثيقة لأحوال الأقطار العربية وشعوبها، وظروف

معاشهم، وعاداتهم وتقاليدهم، ووسائل الحياة عندهم.[1]

١٠) "التطرف، والإصلاح" نقد أمين الريحاني في هذا الكتاب المذهبيات والطائفيات فيقول فيه:

إخواني وأبناء وطني إن أول ما يلزمنا في هذه البلاد... هو هذا الشعور الوطني الخالص من شوائب المذهبيات والطائفيات كلها، الشعور الصافي السليم الخالص للوطن... علينا أن نرفع في شؤون الحياة المدنية الوطن على الدين... بل علينا أن نفكك الطوائف كلها لنستطيع أن نولف طائفة الوطن الكبرى أجل علينا أن نسعى في تأليف وطنية عالية شاملة ركنها الأول الوحدة القومية وأن نعزز هذه الوحدة بالأعمال لا بالأقوال وعلينا أن نغرس هذه الفكرة في البيت وفي المدرسة وأن نؤسس لها الجمعيات من النساء والرجال لتبتها في الأمة.[2]

وفي هذا الكتاب دعا أمين الريحاني إلى القومية برسالتها عن وعى صحيح وإيمان عميق وكان قلمه البارع الحكيم يجول في مختلف شؤون الشرق العربي فيعالجها معالجة خبير مُجرب ويبين وجه الرشاد والحكمة في معالجتها هو في هذه الناحية لا يجاوز أديب أخر من زملائه المهاجرين.[3]

١١) "وفاة الزمان"، وهي مسرحية طبعت في سنة ١٩٣٤م وكتبها الريحاني بمناسبة مهرجان الفردوسي (٩٣٥-١٠٢٠م) الذي أقامته حكومة ايران في تلك السنة بمناسبة مرور ألف سنة على ولادة الفردوسي، شاعر

---

[1] عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٣٣٧

[2] نقلا عن: يوسف كوكن، أعلام النثر والشعر، ج٢، ص١٠

[3] المصدر السابق، ص١١

الفـــرس الأكبر وكاتب "الشاهنامه" الشهيرة وقد أعطى الريحاني الزمان شخصـــية الـــوفى الذي يقدر الرجال العظام الذين قدموا للحياة آثاراً عظيمة تستحق الخلو.

١٢) "الملك فيصل الأول" (King Faisal the First) بالعربية نشره سنة ١٩٣٤

١٣) "قلب العراق" طبع من مطبعة صادر بيروت ١٩٣٥م.

١٤) "قلـــب لبنان" وهو يحتوى على أخبار رحلته في بلاده في أوائل الحرب العالمـــية الثانية ووصف فيه أحوال لبنان وعادات أهلها وتقاليدهم المحلية في أســـلوب رشيق جذاب وقد طبع بعد موته. ويعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع العربية في تاريخ البلاد العربية.[١]

١٥) "ابن سعود ونجد" (Ibn Saud of Arabia) باللغة العربية

١٦) "تاريخ نجد الحديث" بالعربية

١٧) "بلاد اليمن" الإنكليزية

١٨) "حـــول الشـــواطئ العربـــية" (Around the coast of Arabia) باللغـــة الإنكليزية

١٩) "أنشودة الصوفين" (A chant of Mystics) باللغة الإنكليزية

٢٠) "المرد اللبان"

٢١) "المغرب الأقصى"

٢٢) "دروس في ألـــف ليلة وليلة" (The lore of the Arabian Nights) باللغة الإنكليزية

٢٣) جادة الرؤيا

---

[١] عيسى الناعورى: ص٣٣٧

٢٤) مسرحية بعنوان "وجدة" باللغة الإنكليزية

٢٥) "سلك النفس"

٢٦) تحور البلشفية

٢٧) النكبات

٢٨) "كتاب خالد" (Book of Khalid) باللغة الإنكليزية ألفه امين الريحاني عن تاريخ حياته على نمط قصصي.

٢٩) "سجل التوبة"، وهي مجموعة أخرى من أقاصيصه الإجتماعية قد صدرت بسلسلة إقرأ بهذا العنوان.

٣٠) "قدر فلسطين" (The Fate of Palestine) الذي أصدره ألبرت الريحاني عام ١٩٦٧م.

٣١) "رباعيات المعري" (The Quatrains of Abul Ala) وما إلى ذلك.

ويجدر بالذكر هنا أن أخوه البرت الريحاني أصدر المجموعة العربية الكاملة لمؤلفات الريحاني بمناسبة المهرجان الذي أقيم في اكتوبر ١٩٦٥م تكريما لذكرى الريحاني في لبنان.

وكان أمين الريحاني هو أول من نظم الشعر المنثور- بين شعراء العرب في الشرق والغرب متأثرا في ذلك بالشاعر الأمريكي والت ويتمان (Walt Whitman) الذي كان يعمل لتحرير الشعر الأمريكي من قيود الوزن والقافية. فكتب الريحاني عدداً من قطع الشعر المنثور ونشرها بين تضاعيف "الريحانيات" وقد جمعها أخوه ألبرت الريحاني فيما بعد في كتاب مستقل بعنوان "هتاف الأودية" عام ١٩٥٥م.[١]

وإن هذا الأسلوب المنطلق الذي ينشر الخيال الشعري الجميل في العبارات

---

[١] عيسى الناعوري: أدب المهجر، ص٣٣٨

النـــثرية القصـــيرة. وهذا الأسلوب استهوى جبران فيما بعد فكتب جبران كتبا بهذا الأســـلوب الشـــعري الغني بالخيال والجمال والصور الروائع. وغير أنه إبدع في هذا الأسلوب الشعري ما شاء لـــه نبوغه وعبقريته. وفاعتبر الناس أن هذا الأسلوب من إبداع جبران نفسه لأنه تفوق في إبداعه على القليل الذي كتبه الريحاني بهذا الأسلوب نفسه. فنسى الناس أن الرحياني كان أسبق من جبران إلى هذا الأسلوب الجديد.[1]

كان أمين الريحاني منذ طفولته يجبل فكره في مجتمعه وفكانت نفسه تثور على مـــا يعانيه مجتمعه من صنوف الجهل والظلم وما يخضع لـــه شعب بلاده من عبودية لـــرجال الدين ورجال الإقطاعيين والحكام. وحينما أصبح قادراً على التعبير عن ثورة هـــذه بالقلم راح يصب نقمته شواظا من نار على كل لون من ألوان الجهالة والظلم والعـــبودية تارة ساخطا عنيفا تارة أخرى متهكما ساخراً. فلقى على ذلك الكثير من حمـــلات رجـــال الدين ورجال الإقطاعيين معاً، "فنشروا في أوساط الشعب الساذج الجـــاهل أن الريحاني ملحد، يفسد الضمائر ويحاول أن يهدم الدين، ويزرع الشكوك في صـــدور الشعب. فزاد رجال الدين أن حاربوا مؤلفاته جعلوها في القائمة السوداء الـــتي لا يجوز لكاثوليكي (Catholic) دراستها، وكذلك فرضوا الحرمان من الكنيسة على من يتجرأون على قراءة شيء منها".[2]

وعـــلى كـــل حـــال، إن أمين الريحاني ثار على عبودية رجال الدين ورجال الإقطاعيين وكذلك كان يثور على الاستعمار الفرنسي في لبنان وسوريا، والاستعمار الـــبريطاني في مصر والعراق وفلسطين، وحمل عليه حملات عنيفة بمقالاته ومحاضراته

---

[1] عيسى الناعورى: أدب المهجر، ص٣٣٩

[2] المصدر السابق، ص٣٣٩ وما بعدها

ومؤلفاتـــه. هذا وإنه حارب التفريق والتباعد بين أبناء الأمة العربية.[1] وخير مثل لهذا كـــتابه "ملوك العرب" والذي يصور فيه كيف كان الريحاني يسعى ويعمل بكل قوته أن يزيل العداوة من نفوس ملوك الجزيرة العربية وأمرائها؟

وهكـــذا جمـــع الريحاني بين الأدب العربي، والإصلاح الإجتماعي، والدعوة القومية والوطنية. "فكان في كل ذلك رسولا أميناً يؤدي رسالة الحب والخير والتعاون إلى المجـــتمع العربي كله، كما كان في نفس الوقت رسولا بين الشرق والغرب: يحمل إلى الشرق دعوة القوة والمدنية عن الغرب، ويحمل إلى الغرب الروحانية الخيرة المسالمة عن الشرق. وقد أدى هذه الرسالات كلها إلى آخر يوم من حياته.[2]

لقـــى أمين الريحاني محاربة قوية من رجال الاكليروس ورجال الدين في لبنان وكذلـــك لقـــي كـــثيرا من التكريم في جميع أنحاء الجزيرة العربية. وقد أقيمت لـــه الحفـــلات العديدة في كل مكان تقديراً لأدبه وجهاده الخالص إلى الإصلاح ومحاربة الفساد والعمل على نهضة الشرق وتحريره فيقول مارون عن الريحاني ومؤلفاته وشهرته الأدبية في الشرق والغرب:

> ... وكما تُوّج فولتير من قبل، توج الريحاني بإكليل من الغار في حفلة شـــائعة أقامهـــا عـــلى شرفه نادى الثريا الأميركاني، كما أنبأنا سليم ســـركيس في مجلته المعروفة باسمه، قال: لم أحضر حتى الآن حفلة تتويج ملـــك مـــن ملوك البلدان والأبدان، فهذه لا يدعى إليها الا أصحاب التـــيجان ومن كان على طريقتهم. على أنني وفقت إلى حضور حفلة تـــتويج أحد ملوك البيان، أريد به أمين الريحاني الكاتب البليغ والشاعر

---

[1] المصدر السابق، ص٣٤٠

[2] المصدر السابق، ص٣٤٠

المجـــيد، صاحب المؤلفات الراقية في اللغتين العربية والإنكليزية... تلك حفلـــة أقامهـــا نفر من أمراء الشعر والنثر الأميركان في مدينة نيويورك تكـــريما لوطنينا أمين الريحاني، على أثر ما تبينوه في مؤلفاته من الأدب الجم، وذلك على أثر انتشار كتابه "اللزوميات" باللغة الإنكليزية... ولما فرغ الفضلاء من أقوالهم دعى أمين الريحاني إلى منبر خاص أقيم هناك، وألقى رئيس نادى الثريا الأميركي خطاب الثناء والإطراء والإعجاب، ثم تناول الإكليل وتوج به الأمين.[1]

وقد حصل الريحاني على الشهرة الواسعة كأديب واقعي، ورسول أدبي قومي، ومصلح إجتماعي، ومات أداه من رسالة أدبية سامية تظل معها مؤلفاته جديدة كلما تقـــادم علـــيها الزمن. ولقد عاش الريحاني في المهجر مع جبران ونعيمة وزملائهما، وساهم معهم في المجلات المهجرية مثل "الفنون" و"السائح" وكذلك كتب في جريدتي "الهـــدى" و"مرآة الغرب" وغيرها من صحف المهجر الشمالي ولكنه لم يشترك معهم في الرابطة القلمية لخصوصها شديدة بينه وبين جبران في عقيداتهما.

وأصاب الريحاني بمرض عصبي في يده اليمني منذ عام ١٩٠٧م وقد رافقه ذلك الـــداء إلى آخر حياته ولعله السبب الذي أدى الى وفاته عام ١٩٤٠. فقد كان يقود دراجـــته في الشارع العام على مقربة من الفريكة فسقطت به سقطة عنيفة فنقل إلى مستشـــفى ربـــيز في بيروت ولم يلبث فيه سوى أيام قليلة فاضت روحه ١٣ سبتمبر ١٩٤٠م. ونقل رفاته إلى الفريكة حيث دفن في مدفن الأسرة الريحانية.[2]

---

[1] المصدر السابق، ص٣٤١

[2] الناعورى: أدب المهجر، ص٣٤٢

٢- ميخائيل نعيمة (١٨٨٩-١٩٨٩)

حياته

كان ميخائيل نعيمة أديبا لبناني الأصل ومفكراً وشاعراً وناقداً وهو من أبرز روّاد النهضة الأدبية الحديثة. وُلد في قرية بسكنتا[1] الصغيرة في لبنان في ١٧ أكتوبر ١٨٨٩م.[2] وكان الابن الثالث لأبويه اللذين كانا أميين. تعلم أولا في المدرسة الطائفية.[3] وغادرها إلى فلسطين عام ١٩٠٣ والتحق بمدرسة روسية وأتم تعليمه الإبتدائي فيها. ومنها انتقل إلى دار المعلمين الروسية في مدينة الناصرة بفلسطين ودرس فيها أربع سنوات ثم أوفد بعدها إلى روسيا عام ١٩٠٦ على نفقة الجميعة الإمبراطورية الروسية الفلسطينية فطالع الأدب الروسي في معهد السمنار اللاهوتي بمدينة بولتافا (Poltava) في اوكرانيا (Ukraine) (روسيا). واتيح له في أثناء ذلك أن يطور ملكاته الأدبية بالإطلاع الواسع العميق على اللغة الروسية وآدابها.[4] ثم عاد إلى لبنان في سنة ١٩١١م ومنها هاجر إلى الولايات المتحدة حيث التحق بجامعة واشنطن لدراسة الحقوق والأدب الإنكليزي[5] وتخرج منها بعد أربع سنوات بنجاح فريد وحصل على شهادتي بكلوريوس في الآداب وليسانس في الحقوق عام ١٩١٦. ولكنه

---

[1] وهي القائمة على سفح جبل صنين، والمطلة على "وادى الجماجم".

[2] الأديب، العدد ٤، سنة ١٩٥١، ص٥٩

[3] د. احسان عباس و د. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر، ص ١٧٧ وراجع : د. جميل جبر، لبنان في روائع، ص٩١، والناعورى، ص٣٧٥

[4] Badawi, "A Critical Introduction", p 185

[5] EAL, vol. 2, p. 588

لم يمـــارس مهـــنة المحاماة قط.[1] وخدم في الجيش الأمريكي أثناء الحرب العالمية الأولى وعمل في جبهة القتال وفي فرنسا على الرغم من كراهيته للحرب وترك الجندية وعاد إلى نـــيويورك عام ١٩١٩ وهناك تعرف على الأدباء المهجريين ولاسميا جبران وغيره وأخـــذ يستمد مع نخبة من أصدقائه المهجرين لتأسيس الرابطة القلمية التي أنشئت في ٢٠ ابـــريل ١٩٢٠م فانتخب نعيمة مستشارا لها.[2] ثم عاد إلى لبنان في سنة ١٩٣٢م. أصـــد ديوانه الوحيد بعنوان "همس الجفون" عام ١٩٤٣. يعتبر ميخائيل نعيمة أكثر المهجريين نشاطا في النثر.

ميخائيل نعيمة: فنه

كـــان نعـــيمة من أبرز أعضاء الرابطة القلمية ومستشارها ومن أعظمهم ذكاء، وأكـــثرهم نشـــاطاً وأرسخهم أدبا. أنه نشر لـــه كتابين فحسب في المهجر خلال الســـنوات الاحدى والعشرين التي قضاها فيه.[3] وبدأ حياته الأدبية عندما كان يدرس الحقـــوق في جامعـــة واشنطن بكتابة نقدية حول رواية "الأجنحة المتكسرة" لجبران بعـــنوان "فجـــر الأمل بعد ليل اليأس" وأرسل هذه المقالة إلى إدارة "الفنون".[4] هكذا افتتح نعيمة حياته الأدبية بنشر مقالاته وقصصه في مجلة "الفنون" وجريدة "السائح". وكتب مسرحية بعنوان "الآباء والبنون" وهذا الكتاب طبع في مطبعة "شركة الفنون" في نـــيويورك عام ١٩١٧م.[5] وهو يشتمل على رواية تمثيلية ذات أربعة فصول، جعل

---

[1] الناعورى: أدب المهجر، ص٣٧٦

[2] د. احسان عباس و د. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر، ص ١٧٧

[3] الناعورى: أدب المهجر، ص٣٧٧

[4] جميل سراج: شعراء الرابطة، ص٣١١

[5] الناعورى: أدب المهجر، ص٣٧٧

لهـــا مقدمة يبين فيها رأيه في المسرحية وطريقة حوارها. وكتابه الثاني كتاب في النقد سمـــاه "الغربال" وطبع في مصر عام ١٩٢٣م. وقدم لـــه عباس محمود العقاد، أديب وناقد مصري، فأثنى على أدباء المهجر وشعرائه الذين تحرروا من قيود التقليد. وأوضح نعـــيمة في هذا الكتاب مقاييسه الأدبية والنقدية الجديدة لنهضة الشعر والنثر. وهذه المقايـــيس "تـــرمى إلى الـــتحرر وتدعو إلى الاعتماد على النفس وعدم الجرى وراء المقلدين"[1] ويقول عباس محمود العقاد في مقدمة الكتاب:

> سيشهد الخالون من الغرض أنه أي نعيمة – عمل في تصحيح كثير من مقاييس الأدب، فأفاد وأفلح؛ ومن صحح مقياسا للأدب صحح مقياسا للحياة، وخليق بتصحيح مقاييس الحياة أن يكون أمل أمة لا أمل أديب أو طائفة من الأدباء.[2]

كما يقول ميخائيل نعيمة في هذا الكتاب عن المقاييس الأدبية:

> قلـــنا إن قـــيمة الأمور الروحية إنما تقاس بالنسبة إلى حاجاتنا الروحية. ولكل منا حاجاته بل لكل أمة حاجاتها. ولك عصر حاجاته. غير أن من هـــذه الحاجات ما هو مقيد بالفرد أو بالأمة وأحوالها الزمانية والمكانية. وهذه تتقلب وتتغير. ومنها ما هو مشترك بين كل الأفراد والأمم في كل العصـــور والأمكـــنة. وهذه الحاجات هي المقاييس الثابتة التي يجب أن تقاس بها قيمة الأدب فإن حددناها حددنا مقاييسنا الأدبية وتمكنا من أن نعطى كل أثر أدبي حقه.[3]

---

[1] جميل سراج: شعراء الرابطة، ص٣١٣

[2] نقلا عن: الناعورى، أدب المهجر، ص٣١٣

[3] ميخائيل نعيمة: الغربال، ط٥، ص٥٨

"ويُعدّ "الغربال" بعد كتاب "نقد الشعر" للعقاد والمازني من الدعائم الأولى في النهضـــة النقدية الأدبية المعاصرة."[1] كما يعد دستور المجددين والناقدين[2] لما ظهر هذا الكتاب عام ١٩٢٣ "ذاع اسم نعيمة ناقداً درجة رفيعة، لا في المهجر فحسب، بل في الشرق العربي[3] فيقول جورج صيدح عن هذا الكتاب وثورة نعيمة الأدبية:

> شـــاء أن يصحح مقاييس الأدب ومقاييس الحياة فما شرع في التأليف حـــتى أعلـــن الـــثورة الأدبية في كتابه الفريد "الغربال" ومهد للثورة الإجتماعية في قصته المشهورة "العاقر" ... إن أدبه ولد كبيرا ومشى إلى الخلود في طريق القصة والنقد، لا في طريق الفلسفة. مضى ثلاثون عاما عـــلى صدور كتابه "الغربال" ومستجرى مياه كثيرة في الغدران قبل أن يظهر في الأدب العربي كتاب يماثله في النقد الأدبي. إنه وضع الأشياء في موضعا ووزن القيم بميزانها الصحيح. فلا إجحاف بقدر الصناعة اللفظية "باعتـــبارها وسيلة الأديب. شرطا أن لا تحجب الغاية من الأدب وهي التعبير عن المعاني والعواطف والأفكار. وسيبقى هذا الكتاب مرجعا لكل من يشتغل بالنقد ومدرسة لتعليم الإنشاء الملائم لروح العصر.[4]

هكـــذا إنتشر شهرة نعيمة في العالم العربي كناقد بكتابة "الغربال" الذي يعتبر من أبرز الكتب النقدية في الأدب العربي الحديث بما ثارفيه على التقليد والمحافظة على الأدب العربي القديم.

---

[1] عبد الغني حسن: الشعر العربي في المهجر، ص١٥٩

[2] صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص٤٩

[3] جميل سراج: شعراء الرابطة، ص٣١٣

[4] جورج صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص١٧٩

وقـــد ألّـــف ميخائيل نعيمة أثناء إقامته في المهجر الأمريكي كتابه "جبران خلـــيل جبران" وديوانه "همس الجفون" وقسما كبيرا من كتاب "المراحل" و"كرم عـــلى درب" و"مذكـــرات أرقش". ولما عاد إلى لبنان عام ١٩٣٢.[1] وحمل هذه المخطوطـــات معـــه فيها وأما الكتب الأمر التي ألفها هي: زاد المعاد" و"البيادر" و"لقاء" و"الأوثان" و"صوت العالم" و"النور والديجور" و"كتاب مرداد" و"دروب" و"سبعون" (ثلاثة أجزاء) فهي انتاج جهوده الأدبية أثناء إقامته في لبنان[2] ونشرت هذه المؤلفات فيما بعد.

ولم يحـــتج نعيمة إلى نتاج شعري وافر ليثبت موهبته وعبقريته كشاعر بارز. ففي القليل الذي نظمه بلغ منـــزلة يحسده عليها الكثيرون.[3] يظهر من تواريخ قصائده أنـــه مـــارس النظم باللغة العربية طيلة عشر سنوات، من ١٩١٧ إلى ١٩٢٦ وباللغة الانكليزية مدة خمس سنوات، من ١٩٢٥ إلى ١٩٣٠، ثم طلق الشعر عندما اتسعت آفـــاق مداركه ومراميه إلى حدود، رأي أن قدرته الشعرية لا تستوعبها كاملة. وهو صـــاحب رسالة في الأدب، يأبي أن تبقى معان منها حبيسة في صدره. فلم يكتب الا نثراً عندما ترك أمريكا.[4]

أصدر نعيمة ديوانه باسم "همس الجفون" سنة ١٩٤٣ وفيه أول قصيدته بعنوان "الـــنهر المـــتجمد"[5] الـــتي نظمها باللغة الروسية أثناء إقامته في بولنافا (Poltava) في اوكرانيا ثم ترجمها هو نفسه إلى اللغة العربية في نيويورك. وقد جاءت ترجمتها بديعة

---

[1] ميخائيل نعيمة: حياة جبران، ص١٧٦

[2] صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص١٧٨

[3] Badawi (ed.) Modern Arabic Literature, p. 100

[4] يوسف كوكن: أعلام النثر والشعر، ج٢، ص٤٩

[5] ميخائيل نعيمة: همس الجفون، ص١٠ وهي أثر من آثاره الفكرية باللغة الروسية.

حقـــاً وتدل على أن روحه الشاعرية لا تفقد أصالتها برغم اختلاف اللغة. فقد كان تعبيره بالروسية هي لغته الثانية لـــه أقل روعة من تعبيره العربي.[1]

ففي هذه القصيدة نظر نعيمة إلى النهر فرآه مقيدا ولكنه شعر بأن قيده موقت ووازن بين قلبه والنهر، فرأي أن قلبه متجمد أيضاً، يقول فيها:

فتساوت الأيام فيه صباحا ومساؤها

وتوازنت فيه الحياة نعيمها وشقاؤها

سيّانِ فيه غدا الربيع مع الخريف أو الشتاء

سيّانِ نوح البائسين وضحك أبناء الصفاء [2]

وفي ديوانه "همس الجفون" نجد قصيدة رائعة أخرى هي "أخي" التي تظهر أســـبابها عـــلى نفـــس الشاعر من الخارج، ونجد القصائد الباقية كلها تصويراً لحـــالات النفس، كما هي تنبعث موجاتها من الداخل تصوير للقلب في ركوده وأمانـــيه، ونقـــل مشاعر الحنين إلى الطفولة، ثم تصوير للقلب في يقظته وصلته بالخير والشر، ومدى تقبل الناس لما يفيضه هذه القالب من حبّ، إلى صور آخر من الطمانينة النفسية، رغم الرياح والرعود، إلى الشعور بالحاجة الملحة إلى رفيق أو حبيـــب، إلى مشاعر تتقمص حينا وحدة الوجود والوصول الصوفي، وتصبح مـــناجاة رقـــيقة، ثم تحور فإذا هي احتجاج على وضع الانسان أمام المسؤولية، احتجاج على الحساب".[3] وكذلك يبكى الشاعر في هذه عن آثار الحرب الهالكة العالمية الكبرى فيقول:

---

[1] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٣١٤ وما بعدها.

[2] ميخائيل نعيمة "همس الجفون، ص١٠

[3] انظر: د. احسان عباس و د. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر، ص ١٨٧

أخي! إن عاد بعد الحرب جندي لأوطانه

وألقى جسمه المنهوك في أحضان خـــلانه

فلا تطلب إذا ما عدت للأوطان خلانا

لأن الجوع لم يترك لنا صحبا نناجيهم

ســـوى أشباح موتانا[1]

ويرى الدكتور محمد مندور أن ميخائيل نعيمة وقد أحسن اختيار كلمة الهمس لشـــعره في ديوانه هذا لأن شعره يقع في النفس موقع الأسرار التي يتهامس بها الناس، يؤنس النفس ويشعرها بالواجب الوطني همسا دون خطابة ولا تشرق وكلمة الهمس في رأي الدكتور مندور أيضا هي إحساس أكثر مما هي معنى إحساس بالأدب المصوغ مـــن الحياة كقطعة منها يوحى لسامعه بالاستمرار مع الصورة أو المعنى وأكبر خاصية تمـــيز شعر نعيمة هي جريان شعره على طبيعة النثر مع ايقاع خفيف غير حاد وهذا الإيقـــاع الخفيف الذي تبنى عليه قصيدته فهو ما سماه الدكتور محمد مندور "الهمس" ويـــرى أن الشـــعر عند نعيمة قد تحول حقا إلى نغمة يستطيع الإنسان ان يترنم فيها بصـــوت خافـــت ويجد لها طمعا خاصا. إن الأسلوب النثرى جعل نعيمة أشبه شيء بالأسلوب المزدوج، وقصير الفقرات فيقول نعيمة في قصيدته "الابتهالات".

روحى وخلينا. بالأرض لا هينا نرعى أمانينا. في مرج أوهام

وجميع الخلق في دور القبور. في نسور الجو في موج البحار.[2]

.....

يا رمز فكر حائر ورسم روح ثائر يا ذكر مجدٍ غابر قد عافك الشجر[1]

---

[1] عبد الغني حسن: الشعر العربي في المهجر، ص١٦٣

[2] ميخائيل نعيمة: "همس الجفون"، ص٣٥

.....

أنا الجلاد والأسى. أنا الغرار والهادى أنا البلوى. أنا السلوى.[2]

وفي هـــذه الأمـــثلة مـــن شعره نجد أن البناء الإعرابي القائم على التموجات الـــتلاحقة بين رفع وخفض نصب قد فقد فيها.فهذا الاتجاه في شعر نعيمة فيما يبدو من أجل تأثره بالأغاني اللبنانية الشعبية فقد اتبع اللحن الذي استقر في نفسه من أغاني وطنه كما يرى الدكتور احسان عباس والدكتور يوسف نجم:

> قـــد ربط الشعر عند نعيمة بالأغاني اللبنانية. ونستطيع أن نقول، ونحن عـــلى مثل اليقين، إن الأغاني الشعبية في لبنان، هي التي اكسبت شعر نعيمة هذا الطابع، حتى لنجد في بعض قصائده اتباعا للحن الذي استقر في نفســـه مـــن أغاني وطنه... ونضيف هنا أن الطابع النثري في شعر نعـــيمة، غير مثقل بالأثر الذهني الذي قد يخرجه إلى الجفاف عند شاعر كابن الرومي مثلا. لأن القصيدة عند نعيمة ليست عملا ذهنيا، بل هي صـــورة صـــادقة للانفعال العاطفى. فإذا كان الموضوع مشكلة ذهنية كمشـــكلة الخـــير والشر، حوّله الشاعر إلى حكاية قصيرة، تتساند مع طبيعة ذلك الأسلوب النثري البسيط، على إخراج تلك المشكلة الذهنية إخراجا متناسباً.[3]

وعـــلى أي حال نظم نعيمة الشعر في ظل الرابطة القلمية بعد أن أصبح عضوا فـــيها ومستشـــاراً لهـــا. ومـــن هنا نرى روح الرابطة القلمية في شعره وأهدافها في

---

[1] ميخائيل نعيمة: "همس الجفون"، ص٤٧، من قصيدة أوراق الخريف

[2] ميخائيل نعيمة: "همس الجفون"، ص١٠٢، من قصيدة (M.D.B)

[3] احسان عباس ويوسف نجم: الشعر العربي، ص١٨٥

مقطوعاتـــه.[1] ومن أهم مميزات ديوانه هي الروح التأملي العميق الذي يلف قصائده ويوارى أفكاره وآراءه في أغلفة من ظلال التأمل النفسي. كان نعيمة روحيا تأمليا في كـــل شـــعره كما ينظم إلى الطبيعة فيجد فيها دروسا من الفلسفة تدعو إلى التفكير الدقـــيق، ويمعمـــن في تأمل مشاهدها فيلمس فيها أشباها من نفسه الشاعرة وروحه الصوفية الحائرة، وقلبه الهائم الرقيق.[2] و"في الحق أن نعيمة أكثر شعراء الرابطة القملية بعـــد جـــبران تمثيلا لروح الرابطة وتمثلا لها، وسيراً على نهجها دون أن يحيد عنه قيد شعره."[3] فديوانه يخلو عن شعر المناسبات وشعر المدح والرثاء.

ومـــن نواحي التجديد في شعر نعيمة أنه كله من النوع الخفيف على السمع، القصـــير البحور، المتعدد القوافي ونلاحظ أيضاً أثراً من آثار الروح الأجنحة والآداب الغربية[4] ولاسيما الأدب الروسي.[5]

وإلى جانب قصائد نعيمة ومقطوعاته العربية في ديوانه، توجد لـــه مجموعة مترجمة لقطع نظمها بالإنجليزية وألحقها بآخر ديوانه. ويبدو للقارئ أيضا أن هذه المـــنظومات غنـــية بالمعاني زاخرة بالآحاسيس فيّاضة بالقوة الروحية السامية التي سيطرت على شعر نعيمة في كل اللغات التي نظم بها.[6] كقصيدته "النهر المتجمد" التي سبق ذكرها.

إن نعـــيمة كان صوفيا كأبدع ما تكون الصوفية، متأملا كأعمق ما يكون التأمل

---

[1] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٣١٣

[2] المصدر السابق، ص٣١٣ وما بعدها

[3] المصدر السابق، ص٣١٤

[4] ولكن صرح نعيمة ورفض بأن شعره خال من الأثر الأمريكي أو الإنكليزي أو الفرنسي

[5] المصدر السابق، ص٣١٤

[6] المصدر السابق، ص٣١٥

والتفكير. مثل يبدو من قصيدته الإنكليزية بعنوان "أغنية صوفية" (A chant of mystics) وغيرهـــا. ونعجـــب بقصيدته المشهورة الثائرة (أخي المذكورة آنفا) التي نظمها إبان الحـــرب العالمية الأولى ووجهها إلى إخوانه في الوطن العربي، في هذه القصيدة يندب نعيمة حال قومه العربي وما وصلوا إليه من جوع وعري وفقر مدقع وخزي شديد في لهجة صارمة وقوة وتأكيد.

ولمـــا مات جبران خليل جبران عام ١٩٣١م، بلغ الحزن بصديقه نعيمة أشده ولم تطـــل إقامته بعد ذلك في أمريكا فتركها في عام ١٩٣٢م وعاد إلى لبنان حيث الـــتزم عزلـــته وحيداً دون صديقه وحبيبه، لا في دير مارسركيس، وعلى سفح جبل الأرز، بـــل في ظـــلال "الشـــخروب" المطل على وادي الجماجم والقائم على سفح صنين، في بلدته الهادئة "بسكنتا". ثم أخذ يصدر كتبه القيمة في موضوع النقد الأدبي والفلســـفة الإجتماعية وما إلى ذلك وأن كتابه القيم عن صديقه الفقيد باسم "جبران خليل جبران" يفوق كل تكريم ويمتاز من أي رثاء.[1]

ولنعـــيمة شـــذور وأمـــثال جمعها في كتابه "كرم على درب" الذي طبع من بيروت، وهذه الأمثال كانت نتيجة تأملاته في سنين متفرقة.

وكـــتاب "كـــان ما كان" يشتمل على ست قصص وهي "ساعة الكوكو" و"ســـنتها الجديـــدة" و"الذخيرة" و"سعادة البيك" و"شوراتي" و"العاقر" وهي كلها أقاصيص من صميم الواقع الإجتماعي في لبنان والشرق العربي. تناول المؤلف في قصته "ســـنتها الجديـــدة" كراهية الشرق العربي للبنات ولا سيما عند ولادتهن. وفي قصة "الذخـــيرة" تهكم فيها بأولئك الذين يؤمنون إيمانا أعمى بقدرة ذخائر القدسيين على اجـــتراح للعجائـــب. وفي قصـــة "سعادة البيك" سخرية من ولع الشرقين بالألقاب

[1] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٣١٨

وبطلها الشيخ أحمد الداعوق لا يحب أن يدعى بغير سعادتلو أحمد بيك الداعوق حتى وهـــو يأكل ويشرب بالدين. وأما قصة "شورتي" فهي حملة على الحروب ومثيريها. لأن الإنســـان إنما يثيرها ليفتك بأخيه الإنسان بدلا من أن يبادله الحب ويتعاون معه لخير البشرية. وسعادة الحياة. وأما قصة "العاقر" فهي تعالج موضوعا خطيراً يكون في الشـــرق العربي أحيانا سبب مآس عائلية وخلاصتها ان عزيزاً وجميلة قد تحابا وتزوجا ولكن الأيام مرت وزواجهما لم يثمر أولاداً وعبثا جعلت أم عزيز تلجأ إلى الكنائس والقديســـين ولذلك ما لبث أن خمد الحب في قلب عزيز وبدأ ينصرف عن قرقودته لأنه صار يعتقد أنها عاقر وأن لن يكون نسل منها غير أنها حملت أخيراً وظن الجميع أن صلوات حماتها قد استجيبت فعاد عزيز يحبها من جديد:

يظهـــر لهـــا الحنان والرضى وأما هي فقد إستبد بها الحزن إذ رأت نفسها لا تســـتحق هـــذا الحب المعاود من زوجها وفي ذات يوم عاد عزيز إلى البيت فلم يجد إمـــراته بـــل وجـــد ورقة منها تذكر فيها أنها تنتظر عند السنديانة فذهب إلى هناك ووجدهـــا جـــثة هامدة وبين طيات ثوبها كتاب منها إليه وقرأ الكتاب فاذا هو أمام حقـــيقة قاتلة وهي أن الجنين الذ تحمله ليس إبنه وإنما اضطرت إلى هذه الفعلة لتثبت لـــه أنها ليست هي العاقرة بل هو نفسه.

وهذه القصة فجعت القلوب بحوادثها وخلبت الألباب بأسلوبها. وكان نجاها مشـــجعا لنعيمة على السير قدماً في هذه الناحية من الدب الاجتماعي المثمر. "فتوالى انـــتاج، نعـــيمة القصصي يهاجم مختلف العادات والتقاليد القديمة المنكرة، كالإيمان بالشعر ذات والطلاسم والذخائر العجائبية، وكراهية الشرق للمواليد الأناث، ورياء المتزعمين المتشدقين بالوطنية، وسخافة المولعين بالأقاب، وأنانية مثيري الحروب.[1] كل

[1] صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص١٨٠

هذه الأمراض الإجتماعية شخصها نعيمة في قصصه بأسلوب ساخر مؤثر.

وكتاب "مذاكرات الأرقش" قصة طويلة بدأها في المهجر وأتمها في لبنان. وهي بالحقيقة مذاكرات نعيمة، رسم فيها الخطوط العريضة لفلسفته في الحياة.[1]

ورواية "لقاء" صدرت عام ١٩٤٦م. وهي تدور حول عقيدة 'تناسخ الأرواح' التي رسخت في ذهنه وأثرت في انتاجه الأدبي منذ اتصاله بجبران بعد تأسيس الرابطة القلمية. وهذه العقيدة عالجها نعيمة في هذه الرواية بالروح التي عولجت به في مقالتي جبران هما "رماد الأجيال" و"النار الخالدة" وفي كتابه "النبي". هكذا تأثر نعيمة كثيراً بأفكار جبران في "الأخوة الإنسانية" و"تناسخ الأرواح" و"وحدة الوجود" و"الفلسفة الروحية" وغيرها وتفوق نعيمة على جبران بصناعة العبارة وصفائها وقوتها وقوق الملكة النقدية.[2] وكذلك يؤمن نعيمة بعقيدة تناسخ الأرواح مثل جبران وأوضح صورها في روايته "لقاء" ويرى أن العقل والحواس وحدهما لا تستطيعان أن تهديانا إلى إدراك حقائق الوجود والطريقة الوحيدة إلى ادراكها هي الخيال.[3] و"أكابر" مجموعة أقاصيص تحوى على قصص أكابر مثل "عابر سبيل" وغيرها.

و"الأوثان" عالج نعيمة فيه عدداً من الأمور التي يعبدها الناس في "المال" والقوة. و"السلطان" والرأي العام والقومية وما إلى ذلك. وهو في معالجة لها يدعوها بالأوثان أو الآلهة التي يخلقها الناس لأنفسهم ثم يعبدونها ويخضعون لأحكامها وهي أشياء نستعبد الإنسان لنفوذها وطغيانها وتحرمه راحة النفس وحرية الضمير إلى حد بعيد وتمنعه حرية العمل والتصرف.

---

[1] المصدر السابق، ص١٨٠

[2] الناعورى: أدب المهجر، ص٣٦٨

[3] يوسف كوكن: أعلام النثر والشعر، ج٢، ص٥٨

"في مهب الريح" فيه قصص ومقالات مثل 'في مهب الريح' و'السيف والقصبة'، و'الأدب والدولة'، و'أوزار اللغة'، و'غاندي'، وغيرها ويقول عن غاندي (Gandhi) والهند:

> وهكذا أصبح المغزل في يد غاندي أمضى من السيف في يد "جان بل" (John Paul) وأصبحت الملاءة البسيطة البيضاء التي كانت تلف جسد غندي لنجيل درعا لا تخترقهم مدافع أساطيل سيدة البحار وأصبحت عنزة غاندي أشد باسا من الاسد البريطاني وهكذا إنتفضت الهند كلها إنتفاضة جبارة ومشت باجسادها وقلوبها وأرواحها خلف ذلك الرجل الزاهد. الا في الحياة كما شاء الله أن تكون السائر إلى غايته في جسد هزيل...[1]

"كتاب مرداد": ألّف ميخائيل نعيمة هذا الكتاب على غرار "النبي" لجبران وملأ صفحاته بالحكم والموعظة الحسنة وبالتجرد النفسي. وقد نشر هذا الكتاب بالانكليزية والعربية، نشر النسخة الانكليزية السيد أي يم ترباتي (Y.M. Tarbati) بمومبائي في عام ١٩٥٤ وهي موزعة في ٣٧ فصلا — ومرداد (Mirdad) واحد من بقية أولاد نوح عليه السلام ورفقائه فيجيب مرداد عن أسئلة رفقائه أحيانا عن العدل والموت والمال والحياة بعد الممات والتوبة وعن الذكر والأنثى والزواج بينهما وغيرها من المسائل العديدة التي يواجهها الإنسان في حياته.

"جبران خليل جبران" وهو كتاب كتبه أولا بالانكليزية ووصف فيه سيرة جبران بأبدع أسلوب وحلل اتجاهات صاحب السيرة أديبا وفنيا وفلسفيا أدق تحليل وهذا الكتاب منقسم في ثلاثة أجزاء وذيل. تم ترجم من الانكليزية إلى العربية. ويعتبر

---

[1] ميخائيل نعيمة: في مهب الريح، ص١١٦

نعيمة هذا الكتاب ذروة تأملاته.

"وزاد المعـــاد"[1] لخص نعيمة في تعاليمه عن أسرار الحياةوالموت. وتأمل نعيمة طويـــلا في الحـــياة والطبـــيعة وهذه التأملات هدته إلى أن يهتم بالروح قبل الجسد، وبالخـــالد قـــبل الفـــاني، فوجه إلى هذه الناحية كل عنايته، ركز فيها خلاصة أدبه، وخلاصة عقيدته وإيمانه المطلق، فخلاصة عقيدة نعيمة نجدها في هذا الكتاب ففي هذا الكتاب يقول نعيمة عن أسرار الحياة والموت:

> لـــيس هـــناك حياة أو موت؛ فالحياة هي بنت الموت، والموت هو أبو الحـــياة، وكلاهمـــا حـــياة لافناء لها. ولابد من فناء التراب فينا لولادة حـــيوات جديـــدة متعددة؛ فالذي ندعوه بالموت هو في الواقع امتداد للحياة، وانفساح في أطرافها، إذ منه تتولد الحيوات الكثيرة؛ وأما الذي اصـــطلاحنا أن ندعوه بالحياة فهو الموت في أقرب معانيه، لأنه ليس فيه خلـــق وامتداد وتنويع، بل جمود على حياة واحدة، كالبزرة تبقى بزرة فقط وهي وحدها في الحياة، فإذا ماتت ودفنت في الأرض ولدت للحياة فروعا وأوراقا وزهراً وأثماراً.[2]

فهذا الكتاب في رأي الناعورى دستور الفلسفة الإنسانية عند نعيمة:[3] ويقول الناعورى عن فلسفة نعيمة كما تتجلى من هذا الكتاب:

> تتلخص فلسفة نعيمة في كلمتين: "وحدة الوجود" وهذه تتلخص في أنها

---

[1] ذكـــر نعـــيمة في كتابه "زاد المعاد" حفلة اقيمت لـــه في المدرسة الابتدائية في الناصر. فألقى هناك خطبة عنوانها "صنين والدولار" وهي كما يبدو من العنوان مقابلة بين الحياة في صنين والحياة في أمريكا، وتصوير لآلام الغربة بالنسبة للمغتربين ولأهلهم في الوطن. راجع: نادرة "شعراء الرابطة القلمية، ص٣١٩

[2] ميخائيل نعيمة: "زاد المعاد، ص١٣

[3] الناعورى: أدب المهجر، ص٣٨٠

تعـــنى الفناء المطلق في الله، والغناء المطلق في الإنسان، والفناء المطلق في الطبـــيعة، وبكلمة أخرى فناء كل شيء في كل شيء والفناء هو أقصى درجات المحبة. وإذا كنا نقول الله، والإنسان، والطبيعة، فهذه كلها تعنى شـــيئا واحداً، هو الحقيقة الكبرى، أو الوجود الأعظم. وهي مترادفات لمعنى واحد فقط تختلف الألفاظ الدالة عليه، بينما يبقى المدلول واحد.[1]

ونستطيع أن نقول إن كتاب زاد المعاد لنعيمة يماثل "النبي" لجبران فقد تعرض لكثير من أمور الحياة ومسائل الكون الأعظم التي تناولها "النبي".

وكـــتاب المـــراحل: نجد فيه مقالات عالج فيها شؤون المجتمع الإنساني على طريقـــته مـــثل "المزابل" وغيرها: ومن تصانيفه الأخرى: "البيادر"، "صوت العالم"، "النور والديجور" و"دروب و"أبعد من موسكو ومن واشنطون"، وأبوبطة" و"سبعون" (حياة نعيمة الذاتية في ثلاثة أجزاء) وما إلى ذلك."

فخلاصـــة القـــول، إن مؤلفـــات نعيمة هي "سلسلة من التعاليم الروحانية والتحاليل الفلسفة الرامية إلى إصلاح المجتمع البشرى بقوة الروح، وتربية النفوس على فضـــائل المحـــبة والتضـــامن والإيثار والتضحية والترفع عن دنايا الحياة شأن الأنبياء المرســـلين" لقد كتب نعيمة دستوراً للحياة المثلي في كتابه "زاد المعاد" ولخص تعاليمه الراقية في كتابه "مرداد" ويبشر بعقيدته وطريقته في كل كتاب وكل مقال.

---

[1] المصدر السابق، ص٣٨٠

٣- نسيب عريضة (١٨٨٧-١٩٤٧)

حياته

وُلد في حمص (بسورية) في أغسطس عام ١٨٨٧م.[1] وانطبعت في نفسه مفاتن طبيعتها الساحرة. تلقى تعليمه الإبتدائي في المدرسة الروسية المجانية فيها ثم التحق بدار المعلمين الروسية في الناصرة في فلسطين عام ١٩٠٠م. حيث شارك ميخائيل نعيمة وعبد المسيح حداد أوقات الدراسة فيها[2] فعاش فيها أربع سنوات فانتدب لمتابعة الدراسة العالية في روسيا ولكن الظروف منعته من هذه الرحلة فأقام في حمص لسنة واحدة. وهاجر إلى نيويورك في سنة ١٩٠٥ واشتغل في الأعمال التجارية مع شغفه بالأدب العربي فأسس في سنة ١٩١٢م مطبعة الأتلنتيك (Atlantic Press) في نيويورك وأصدر منها مجلته "الفنون"[3] ذات الشهرة العالمية. وهذه المجلة تعهدت نتاج أدباء المهاجرين قبل تأسيس الرابطة القلمية.

تزوج من نجيبة حداد، أخت عبد المسيح حداد وندرة حداد عام ١٩٢٢م ولكنه لم يرزق أولادا[4] وكانت حياته حياة مضطربة مملؤة من المحن والمشقات. وكان يكافح الحياة لأجل قوته ويعيش في بؤس وشقاء حتى مرض في سنة ١٩٤٢م. عمل مترجما بمكتب الأنباء الأمريكي خلال الحرب العالمية الثانية وابتعد عريضه عن الأدب

---

[1] عباس ونجم: الشعر العربي، ص١٩٣

[2] صيدح : أدبنا وأدباؤنا، ص١٩٩

[3] نذكرها في الفصل الأول من هذا البحث

[4] عباس و نجم: الشعر العربي، ص١٩٣، وراجع أيضاً: الناعورى، أدب المهجر، ص٣٩٢

لأربـــع ســـنوات في أواخـــر حياته حتى توفى في ٢٥ مارس سنة ١٩٤٦م[1] في مدينة بـــروكلن الأمريكية. وكان طوال مدة حياته في صراع بين المادة والروح، وفي كفاح بين الشك واليقين مغتربا عن حمص التي يدعوها عريضة "ذات الأحجار السود" والتي كان يتحرف شوقا إليها.[2]

آثاره الأدبية

وكـــان نســـيب عريضة من أبرز أعضاء الرابطة القلمية، ومن أبعدهم شهرة وتـــأثيراً في الأدب العربي الحديث، هو أحد زعماء النهضة الأدبية الحاضرة ومن أبرز شـــعراء العـــالم العـــربي، وأرقهم شعراً. وكما كان شاعر الحيرة الأكبر بين شعراء المهجـــريين خاصـــة وبـــين سائر شعراء العرب لحيرته الروحية.[3] وأشعر من شعراء العاصى.[4] "وكان أوسع الأدباء في المهجر اطلاعا على تاريخ الآداب العربية وأكثرهم تمكـــنا مـــن اللغة والأدب العربي القديم. تشهد بذلك مؤلفاته: "احتضار أبي فراس" و"ديـــك الجن الحمصى"[5] و"قصة الصمصامه"[6] كما كان على اطلاع بالأدب الغربي عـــن طـــريق الأدب الروسي تشهد بذلك روايته بعنوان "أسرار البلاط الروسي".[7]

---

[1] ذكـــر عبد الغني حسن أن عريضة لقى ربه في أول إبريل سنة ١٩٤٦م. راجع: عبد الغني، الشعر العربي، ص١٨٣

[2] عبد الغني حسن: الشعر العربي في المهجر، ص١٨٣

[3] الناعورى: أدب المهجر، ص٣٨٩

[4] صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص١٩٩

[5] وهـــي تبحـــث عن عبد السلام بن رغبان (٧٧٨-٨٤٩م) فهو ولد في حمص وكان من شعراء الشعوبية دافع عن العرب المستعربة الف المراثى في مقتل الحسين وكان معروفا بلقب "ديك الجن الحمصى"

[6] والصمصامة يراد بها سيف عمرو بن معديكرب (٥٤٢-٦٤١) من بنى زبيدة في اليمن كان من الشعراء الغرسان في الجاهلية واصحاب النجدة والقوة البدنيه.

[7] صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص٢٠١

وكتب ميخائيل نعيمة عن شخصية وشاعرية نسيب عريضة كما يأتي:

هذا شاعر ذو شخصية لا تندغم في شخصية أحد من الشعراء في شعره مـــدى بعيد ولشاعريته وجه يميزها عن كل الوجوه، ولألحانه أنه تعرف بهـــا بين سائر الألحان. كان في صباه فتى محدود الأفق ولكنه لم يعتم أن ارتفع إلى النجوم وأنبسط على مدى الأفق وغاص إلى أعمق اللجج.[1]

وكتب نسيب عريضة ديوانه بعنوان "الأرواح الحائرة" الذي طبع عام١٩٤٦م في نيويورك.[2] وهذا الديوان يحتوى على خمس وتسعين قصيدة ومنها مطولتان احداهما "عـــلى طـــريق إرم" وثانـــيهما "احتضار أبي فراس". ومنها قصائد رائعة: "النهاية" و"أشـــرب وحيداً" و"النوم والمنية" و"أنا في الحضيض" و"طريق الحيرة" و"يا نفسى لا تبكى" و"صلات الفواكه" وغيرها. وكتبت حبيب ابراهيم كاتبة مقدمة ديوانه قائلة: "كان نسيب عريضه شاعر الفكر الدقيق الحائر في أسرار الكون ومغالطات الحياة"[3]

فديوانـــه صورة كاملة لحياته المضطربة وروحه القلقة وفكره الشارد العميق.[4] وقصـــائده مملوءة بالتشاؤم والبؤس والشقاء نرى فيها مواقع الشك والحيرة يستطيع أن يـــتخلص منها طوال حياته تحدث عن ظلام العيش وتعس الحياة وظلم الأقدار وذكر عن الحيرة والفقر والبؤس والفراق والألم والمشقات الإنسانية.[5]

ولعل ديوان "الأرواح الحائرة" هو "الديوان الوحيد بين دواوين شعراء الرابطة القلمـــية، الـــذي لا تظهر فيه إشراقه من أمل ولا ومضة من فرح أو ابتسام، وتكفى

---

[1] نقلا عن: المصدر السابق، ص٢٠١

[2] M.M. Badawi, "A Critical Introduction to Modern Arabic Poetry", p 192

[3] نسيب عريضة: مقدمة الأرواح الحائرة، ص١٣

[4] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٣٥٦

[5] الناعورى: أدب المهجر، ص٣٩٧

نظـــرة واحدة إلى فهرس عناوين قصائده لنتحقق من صدق هذا."[1] وكتب ميخائيل نعيمة عن "الأرواح الحائرة":

> هـــا هو ذا ينظر إلى الحياة، أو بالحرى إلى ما يحيط به بصره من مظاهر الحـــياة، فـــيراه مشـــوش النظام، منافيا لأفكاره الشخصية عن العدل والـــتوازن... لكـــن فكـــره لا يهديه إلى نور بل يزيد ظلمته سواداً. ويحاصره من كل جانب بأسئلة جديدة واستفهامات هي أكثر تعقداً من ذي قـــبل. وإذ لا يجد لـــه مفرا من إلحان فكره يخدره بقوله إنّ ما يراه من التفاوت في مظاهر الحياة هو ظلم من الحياة وخلل في تنظيمها.[2]

وموهـــبة نســـيب عريضـــة الأدبية تتجلى في شعره خاصة. فنجد فيه حرارة العاطفـــة الـــتي تمـــلى عليه قصيدته والحرارة هي عامل القوة والتأثير المهم في الأدب الروحي والوجداني خاصة، وبغيرها يفقد الأدب حيويته وجماله وقوته. وكذلك نرى في شعره الاسترسال المخلص إلى البحث عن المعرفة الحقيقة والحيرة المتشككة.[3]

كان نسيب عريضة شغوفا بمطالعة آثار القدماء وهذا الشغف قد جعله يغترف أحـــيانا مـــن الأدب القديم مادة شعره ونثره. وصاغ مطولته المسرحية "إحتضار أبي فراس" وهي ليست مسرحية في الواقع ولكنها صورة في شكل مسرحي لاحتضار هذا الشـــاعر الفـــارس القديم[4] وهي تقع في ٧٢ بيتا. وكذلك نظم نسيب عريضه الشعر

---

[1] المصدر السابق، ص٣٥٦

[2] ميخائيل نعيمة: الغربال، ص١١٠ وما بعدها

[3] الناعورى: أدب المهجر، ص٣٩٥

[4] وُلد في الموصل شاعر وفارس ابن عم سيف الدولة (٩١٦-٩٦٤م) صاحب حلب قلده إمارة منبج فاسره البيزنطيون ثم أطلق بعد سنوات. وله ديوان باسم "الروميات" الذي جمعه ابن خالويه وطبعه سامى دهان من دمشق.

القصصي أو القصة الشعرية[1] بعنوان "على طريق ارم" فهي تقع في ٢٣٦ بيتا مجموعة عـــلى ستة أناشيد فهذه القصيدة تصور المراحل التي إجتازها الشاعر في حيرته لأجل الـــبلوغ إلى الكمال والمعرفة والسعادة الروحية.[2] وقد اتخذ الشاعر من هذه الأسطورة مادة ملطولته وإرمه هذه هي "المعرفة" التي قضى عمره يبحث عنها.

وهـــذه القصـــيدتان تعالجان موضوعاً واحداً بطريقتين مختلفين إحداهما معنية بالمسافة الزمنية بين المولد والقبر، والأخرى هي التي تلقى وجها لوجه.[3]

كـــان نسيب عريضه كثير المطالعة وكثير التردد على مكتبة نيويورك العمومية يقلـــب ما تحويه رفوف القسم العربي فيها من كتب وإلى جانب الكتب العربية كان يطـــالع ما يقع في يده من كتب الأدب الروسى فيتزود لنفسه ذخيرة يبنى عليها أدبه الغني العتيد.[4]

أراد نســـيب عريضـــة أن يحرر الأدب العربي من جمود وتقليد فوجد في نـــيويورك أنصـــارا أقرباء مثل جبران وأمين الريحاني ونعيمة وغيرهم فمضى في مضمارهم يخلق ويبدع في التراكيب والمعانى وينشد أبياتا بأسلوب جميل منسجم ويكتـــب الفصول بعبارة بسيطة، طالع كثيراً من الأدب الروسي ونقل القصائد الجديدة إلى اللغة العربية منها قصيدته بعنوان "الصمت" لتيوتشف الشاعر الروسي قصـــيدته "النوم والمنية" لسولوكوب.[5] فان القصيدة "الصمت"[6] تعبير عن الجَلَد

---

[1] انس داؤد: التجديد، ص٢٢٤

[2] الناعورى: ص٣٩٥

[3] د. احسان عباس و د. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر، ص ٢٠٩

[4] يوسف كوكن: اعلام النثر والشعر، ج٢، ص٦٨

[5] الناعورى: أدب المهجر، ص٣٩٨

[6] عريضة: الأرواح الحائرة، ص٢٤

ومغالبة الألم في صمت:

صمتا ولا تظهرنْ ما في فؤادك مـــن شواعر وأمـــان وحيها انسكبا

دعها تغبْ في خفايا القلب إن بزغت في جوّه مثل بدر ضاء فاحتجبا

وهذه القصيدة تمثل نظرة عريضة إلى الحياة وفهمه لها. وفيها ردد أنغام الوحدة والعزلة والبعد عن الناس الذين لن يحسنوا فهم عواطفه والتجارب مع شعوره.[1] كما يقول فيها:

عش داخل النفس والزمها كصومعة واتقن حياتك فيها شأن من نجبا

وبالطـــبع أن عريضة أتقن الحياة إلانطوائية وأحسن العيش فيها داخل نفسه، يتأملها ويتفحص دخائلها ويحاول الكشف عن أسرارها حتى كان يخاطبها.[2]

إن الحـــيرة الروحية هي المزية الكبرى التي تتجلى في شعر عريضة وتصبغ كل قصـــائده بطابعهـــا القـــوى. فهذه الميزة جعلته شاعر الحيرة الأكبر بين جميع شعراء المهجـــريين خاصة وبين سائر شعراء العرب عامة وربما بين شعراء العالم أيضاً.[3] وهي أوحـــت إليه تسمية ديوانه "الأرواح الحائرة". واشتهر وتميز بقصائد الحيرة بين سائر الشـــعراء المهجـــريين خاصـــة. وخـــير دليل على حيرته الروحية هو قصيدته "على الطريق"،[4] فيقول فيها:

لماذا وقفت بخوف وحيره

أيا نفس عند الطريق العسيره

---

[1] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٣٥٨

[2] المصدر السابق، ص٣٥٨ وما بعدها

[3] الناعورى: أدب المهجر، ص٣٩٨

[4] نسيب عريضة: الأرواح الحائرة، ص٦٠

ألا امشى فإن الحياة قصيره

ألا امشى.

.....

لماذا العتاب على ما انقضى

أنرجع بالعتب عمراً مضى

شقينا ولكن شقايا الرضى

ألا امشى.

وأحسّ نسيب عريضة بأن تفرده العبقري، لا يغنيه عن الناس، وتاقت نفسه إلى الصديق، وحنّ إلى انسان يشاركه آلامه. وحين أحسّ بالتخاذل الجديد، ذهب يعنّف نفسه المتردّدة التي ملت، عن السيد قبل الأوان.

وأما قصيدته "مركب الفؤاد" فهي صورة صادقة لحيرة روحه الهائمة المتخبطة في ضباب الشكوك، يقدمها عريضه في إطار موسيقى مشرق فيقول:

قلبي بلا شرع يطوف البحار

قد قارب التداعى ليس لها ربّان

في ظلمات الحيره منارها الإيمان

طاف البحار يرجو جزائر الخلود

لعله أن ينجو من لجه الوجود[1]

والقصائد التي تمثل الحيرة الشديدة من جوانب نفس الشاعر. تزيد من عشرين قصيدة في ديوانه وفي كل منها صورة بارعة للحيرة البالغة. ومثل هذه الحيرة العنيفة التي طبعت حياة عريضة وشعره بطابعها لابد من أن ترافقها كآبة كثيرة أيضاً. وقد

[1] نسيب عريضة: الأرواح الحائرة

ظهـــرت هـــذه الكآبة في أغلب قصائد عريضة وأحيانا في صور بالغة التأثير لمرارتها ولكن الكآبة والحيرة ليستاكل مزايا عريضة، وإن تكونا من أهمها.

ونســـيب عريضـــة يتميز عن رفقائه بكثرة تلاعبه في الأوزان الشعرية ليجعل الشعر مزيجا لطيفا من الرقة، والغناء والرشاقة والجمال كماق قصائد الآتية: "النهاية" و"أنا في الحضيض" و"النعامى" وغيرها فيقول في قصيدته "أنا في الحضيض".[1]

أنا في الحضيض

وأنا مريض

أفلا يد تمتد نحوى بالدوا

... ...

ما من مجيب

ما من حبيب

وكذلك في قصيدته "النهاية"[2] تبلغ ثورته ذروة حدتها فثار على ضعف، وطنه وكـــان في حقيقة الحال يتم الثورة الحانقة التي بدأ يحارب بها نفسه كان هو والوطن حينئذ صورتين متشابهتين ، إلا ان الضعف في الوطن مكبر واضح، فتقشعر نفسه لهول ما هو مقدم عليه من ضعف، بخطى سريعة. فيقول:

ربّ ثار

ربّ عار

رب نار

حرّكت قلب الجبان

---

[1] نسيب عريضة: الأرواح الحائرة، ص٧٢

[2] نسيب عريضة: الأرواح الحائرة، ص٦٥

كـــلها فينا ولـــكن

لم تحرك ساكنا إلا اللسان

والقصيدة روح ملتهبة، حطمت التفاعيل الرتيبة، وانطلقت كالقذائف تقع هنا وهناك، فترعب أو تحرق، ولكن هذا الانطلاق الفائر المزمجر كالنيزك الهاوي ما يلبث أن يصير إلى رماد.[1]

كـــان نســـيب عريضة شاعر الفكر الدقيق الحائر في أسرار الكون ومخالطات الحـــياة.[2] وكان من أقرب شعراء الرابطة القلمية فكرا وروحا إلى جبران ونعيمة. وفي شعره أصالة ضخمة ولدها صراع عميق كابده من طول الطريق التي قطعها ليصل إلى نفسه.[3] وعاش عريضة في صراع دائم بين كيّانه الخفي أي بين الشك واليقين لا تخمد نارهـــا مـــن جانب طريقه حتى تشتمل من جانب آخر. وهو يحترق ويصيح.[4] كل شـــعراء المهجر الشمالي كانوا حائرين ولكن عريضة أشد الحيرة في شعره وغذاها من نفســـه حـــتى صارت تتحرك وتمشى وتتكلم ولكنها لا تبوح بأسراها[5] تبين حبيب ابراهـــيم كاتـــبة في مقدمة "الأرواح الحائرة" الفرق بين حيرة عريضة بين الآخرين: "عاشها (الحيرة) نسيب عريضة إلى آخر نسمة من حياته، وعاناه أبو ماضي ردحا من الـــزمن فما فك طلاسمها ولكنه نجا بنفسه منها بكلمة "لا أدرى". أما حيرة رشيب أيوب وندرة حداد فهي الحيرة الصغرى."[6]

---

[1] عباس ونجم: الشعر العربي، ص٢٠٠

[2] أنس داؤد: التجديد في شعر المهجر، ص١٨٧

[3] الدكتور عبد الكريم الأشتر: النثر المهجري، ص٤٧ وراجع أيضاً: الآداب، العدد د، ص٢، سنة ١٩٦٣

[4] صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص٢٠١

[5] المصدر السابق، ص٢٠١

[6] ميخائيل نعيمة: مقدمة "الأرواح الحائرة"، ص٧

فليست حياة عريضة سوى جوع روحي شديد لا يشبع ومحبة للبشرية تكتفى ولا تنقطع مهما لقيت من نكران واعراض فيقول:

لـــو كنت ربا في السماء عظيما بجمـــيع أمـــر الكائنات عليما
لهبطت من عرشي إلى أرض الشقا نحـــو ابن آدم من خلقت قديما
ولبشت أغسل بالدموع كلومه وأزيـــده بتذلـــلى تعظـــيما
مستغفرا عن عيشة قسمت لـــه منذ الخليقة لا تـــزال جحيما[1]

يعـــترف نسيب عريضة بالروح الحائرة المتشائمة التي يريد أن ينفس عنها في شـــعره، فهـــو يـــتحدث عن "الشاعر" ووظيفته وحديثه عن الحب والطبيعة والحياة الجمـــيلة ولكنه يقرر أنه ليس مثله، بل هو شاعر من نوع آخر، شاعر الحيرة واليأس والشك والقلق ويعلل لهذا الاتجاه عنده وكأنه يقدم لنا ديوانه بهذه الأبيات. ولعل من أهـــم أسباب حيرة نسيب عريضة وتشاؤمه وقلقه ويأسه من الناس حوله وضيقه من معاملـــتهم لـــــه، وعـــدم اطمنأنه إلى أي فرد منهم، مما اضطره إلى التزام الوحدة والانفراد والعيش بعيداً عنهم اعتزالا وصوفية ليس لـــه فيها رفيق سوى شعره الحائر وفكره القلق.[2]

وقـــد تمرد نسيب عريضة على الحياة المادية حوله وثار على مبادئ الناس في أمريكا وعقيداتهم التي تبعد كل البعد عن مبادئ العرب ومثاليتهم في الجود والسماحة وكـــرم الأخلاق.[3] وقصيدته "على الأطلال" خير دليل لهذه الناحية. ولم يكن نسيب عريضة هو الثائر الوحيد على هذه الحياة المادية الآلية في الولايات المتحدة بل اشترك

---

[1] نقلا عن: نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٣٥٧ وما بعدها

[2] نفس المصدر، ص٣٥٧

[3] المصدر السابق، ص٣٦٠

معـــه في هـــذه الثورة سائر أعضاء الرابطة القلمية. وهذه النـــزعة والروح المتمردة أورثت بعض شعراء المهجر روحاً من الشك في كل شيء واللاأدرية عند كل سؤال كمـــا يتضح في شعر أبي ماضي مثلا. فقد كانت نتيجة هذه الثورة التي جعلته يأسا قـــاتلا و واحـــدة قاســـية صوفية وزهداً في الكون وكل ما فيه من مظاهر خادعة ولذاذات فارغة. فيقول:

لمـــا رأيـــت العـــيش لا يشـــفى ولا يروى أوامى
والـــناس يـــزحم بعضهم بعضها عدلتُ عن الزحام
المـــال مـــا يـــبغون لكن لســـت أقـــنح بالحطام
عـــجبا أيـــطمع بـــالغنى مـــن ليس يطمع بالدوام[1]

وإذن فنسيب عريضة "مؤمن بالموت ومطمئن إلى نهايته، واثق من فناء الجسد معـــتقد بـــانطلاق الروح بعد الموت وانضمامها إلى العالم العلوى الذي أهبطت منه، وهـــي تلك النظرية العامة التي اعتقدها شعراء المهجر شمالا وأخذوها عن الرئيس ابن سينا وبعض فلاسفة اليونان.[2]

ويعلق الدكتور احسان عباس والدكتور يوسف نجم على شعر نسيب عريضة:

... هـــناك ظاهرة في شعر نسيب، تميزه عن سائر الرفاق، وهي قدرته عـــلى اكتشاف المواقع الصالحة لتنويع النغم. ولعله في هذه الناحية أشدّ المهجريين احساس لا بالنغمة الجميلة، بل بالموضع الذي تستطيع النغمة فيه أن تلين وان تعنف، أو تدور أو تستفيم أو تتحوّل عن سياق الوتيرة الواحـــدة. وقد تكون ألفاظه في ذاتها، بعيدة عن تحقيق الجرس الغنائي

---

[1] نقلا عن: نفس المصدر، ص٣٦١

[2] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٣٦٢

العذب، ولكن النغمة العامة في القصيدة تشف عن إحساس عميق بروح الأنشودة... ويكثر نسيب في شعره من صور البادية، وهي ظاهرة نراها أيضـــاً عـــند كل من ندرة حداد ورشيد أيوب، وتدل على صلة بشعر التصوف أكثر من دلالتها على جرثومة البداوة في دماء هؤلاء الشعراء. ويعـــتمد نســـيب على الرمز العاطفي ذي الايحاءات المتعددة البعيدة، وخاصـــة ما يتصل بالرموز الصوفية لطبيعة موضوعه، وعلاقته بالنظرة الصوفية والفلسفة المثالية.[1]

يجـــدر بالذكـــر هنا أن نسيب عريضة من أشد المهجريين تَعَلّقا بفكرة النفس الهاطبة من عالم النور التي لا ترضى بالأرض اختياراً.[2] فقصيدته "يا نفس" من أوضح قصائده وأشدها صلة بجوهر الفكرة المتضمنة في قصيدة ابن سينا.[3]

---

[1] د. احسان عباس و د. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر، ص ٢١٣ وما بعدها

[2] المصدر السابق، ص٢٢

[3] هو الشيخ الفيلسوف الطبيب. اسمه أبو على الحسين ابن عبد الله ولد في قرية خرميشن من شمالي أفغانستان عام ٣٧٠هـ. وكان منذ صغره نادرة عصره في الذكاء والفطنة. وكان من المتفردين بسعة العلم وقوة العقل، وقد ألف في كل فن من العلم والأدب وتزيد مؤلفاته على مائة.

٤- ندرة حداد (١٨٨١-١٩٥٠)

حياته

ولد في حمص بسورية عام ١٨٨١م. ولم يتخط في دراسته المرحلة الإبتدائية. وهاجر إلى نيويورك عام ١٨٩٧م مع أخيه الصحافي عبد المسيح حداد واشتغل بالتجارة والصحافة فيها.[1] وساعد أخاه في تحرير جريدة "السائح" وأصبح عضواً عاملا في الرابطة القلمية. وكان يعمل في بنك لبنان الوطني بنيويورك كموظف. فكان يعمل فيه في النهار ويشتغل بالأدب والصحافة في الليل. ونظم شعراً دقيقا عذبا مليئا بالشوق والحنين إلى وطنه العربي. أصدر ديوانه الوحيد "أوراق الخريف" في عام ١٩٤١م وتوفى في المهجر سنة ١٩٥٠.[2]

شعره

وكان ندرة حداد شاعراً عاصيا وله أثر مرموق في شعر المهجر وساهم في الشعر المهجري مساهمة بالغة بشعره الرقيق الحكيم. وديوانه "أوراق الخريف" يحتوي على القصائد التي نظمها حتى سنة ١٩٤١م. وهذا الديوان يمثل خياته وشخصيته وأحلامه وآلامه وما إلى ذلك ولا شك أن روحه كانت حزينة مثيرة للألم ولكن نفسه كانت مطمئنة تستقبل كل أحداث في الحياة بالابتسامة.

تعلّق الأستاذه نادرة جميل سراج، على ديوان "أوراق الخريف" لندرة حداد، قائلة:

---

[1] صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص٢٠٥ .

[2] د. احسان عباس و د. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر، ص ٢١٧

ديوان "أوراق الخريف" الذي خلفه الشاعرون كان قد جمع فيه كل ما قال من شعر حتى عام ١٩٤١، فإنه خير ما يمثل لنا شخصية ندرة وحياته وعواطفه وأحاسيسه وكل ما جال بخاطره من ذكريات وأحلام وآمال، ويمتاز بذلك التعبير البسيط الذي عرف عن ندرة البعيد عن مظاهر الكلفة والتصنع، شأنه في قول الشعر كشأنه في معاملة الناس، صريح سموح، محب للخير، فياض الشعور.[1]

ولا شك أن في تسمية ديوانه بـ "أوراق الخريف" دلالة على نفسية ندرة حداد الحزينة وروحه الرقيقة المتأثرة بمآسي الحياة وما ينتابها من ظروف وأحوال لا تبعد جميعها عن أن تكون محزنة جالبة للأسى مثيرة للألم. هذا وهجرته من وطنه في شرخ الشباب والحزن لفراق بلاده وأهله وآلام الغربة والابتعاد جعلته ينظر إلى حياته في مهجره هذه النظرة الحزينة الواجمة.

أنه يصوّر مشاعر المغتربين في المهجر تصويرا رائعا في قصيدته "ذكرى الغريب" فيقول فيها:

يا أيها الشرق كم في الغرب مكتئبا ... يئن أنة مشتاق وينتحب
يبكى على إلفه النائي البعيد وقد ... دهته فيك خطوب الدهر والنوب
يسائل الريح في الأسفار إن عصفت ... والنوم ناء ودمع العين منسكب
ويسأل الشمس إذ تأتيه مشرقة ... عمَّنْ يحب وقد حفّت به الكرب
لا الريح تخبره، الا الشمس تنجده ... لا الدهر يسعفه، لا الموت يغترب
هي الحياة فأحلاها وأجملها ... ألا أراني عن الأحباب اغترب[2]

---

[1] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٣٦٦

[2] نقلا عن: شعراء الرابطة القلمية، ص٣٦٨

وكان ندرة حداد يعتقد بالحب الإنساني فرأه قوة دافعة للحياة الإنسانية فيقول:

والحب هذا كهرباء الوجود بل هو فيه القوة الدافعة

ويعرفه في قصيدته أخرى:

ما الحب يا صاح سوى نفحةٍ قدسيّة بين الـــورى تستطيع

يرفعه الكاهـــن فـــي كأسه والقـــوم في معبـــدهم خسع

يحصده الـــزارع إن أخصبت في الموسم الأرض التي يزرع[1]

ومن قصائد ندرة عن الحب الكبير قصيدته "يسرمعى" التي جعلها فاتحة ديوانه "أوراق الخـــريف" وهـــي قطعة إنسانية موثرة ويفسر فيها مذهبه وأهدافه ومعاملته للناس، فيقول:

يا أخى الساعى لنيل الـــ مجد خفّف عنك جمحك

سر معى في الأرض تنس الـــ ـــمال والجاه وطمحكْ

أنـــــا راضٍ بالعصـــــايا أيهـــا الحـــامل رمحـــكْ

وسأرضى خبزك الأسود في الحـــب ومـــلحكْ

وســـأنسى جـــرح قلبى كلما شاهدت جرحكْ[2]

وكان لندرة حداد قصيدة رائعة بعنوان "أنا إن مت" يقول فيها:

أنا إن متُّ بارض ماتت الاحـــوار فيها

وقضى في الذود عنها كل شهم من بنيها

ورأيتهم كـــل غـــر بعدهم صـــار فقيها

وقـــليل الفهم والادراك يـــغتاب النبيها

---

[1] نقلا عن: الناعورى، أدب المهجر، ص٤٠٢

[2] ندرة حداد: أوراق الخريف، ص١٧

وذوى الأموال والأمـــلاك يختالون تيها

وفـــقير الحـــال منبوذا ولـــو كان نزيها

ورئيس الدين طـــماعا وأمـــيا ســـفيها

أخذ الأمـــوال عفوا ضاحكا من باذلـــيها

إفرحوا إن مت إن العيش قد صار كريها

....

وإذا مت بأرض تخرج القوم الاسودا

تدفع الأبناء في المجد إلى الحرب جنودا

وإذا ما مات منهم بطل كان شهيداً

تبذل المال فيغدو للظبى الحرب وقودا[1]

ونجد في ديوانه قصيدة طويلة نظمها ندرة حداد بعنوان "الراهبة" ذات مأة وعشرة أبيات بوزن واحد وقواف متعددة وفيها يصور ندرة قصة فتاة بائسة مات عـــنها ذووها وهي طفلة فادخلت الدير، وألبسته مسوح الراهبات، حتى إذا نمت تكورت نهداها، بدأت تشعر بأن من الغبن أن تدفن أشواقها وأحاسيسا الحلوة في تلك المسوح بين جدران الدير. ذات يوم كانت جالسة وحدها في حديقة الدير، فـــرأت فـــتىً هاربًا من الحياة يريد الالتحاق بالرهبان. فجعلت تحذره وتنصحه، وتبيس لـــه جمال الحياة، وحلاوة الأشواق، وهمسات الحب. و لم تلبث أن وضعت يدهـــا في يـــده وغادرت الدير معه لتنعم بدفء الحب وحلاوته. ويقول الدكتور الناعورى عن قصيدة "الراهبة": "غير أن الصياغة الشعرية في هذه القصيدة الطويلة لم تكن موفقة فقد كانت عبارتها ركيكة مهلهلة. ولذلك لا نحاول أن تقتطف منها

[1] نقلا عن: يوسف كوكن، أعلام النثر والشعر، ج٢، ص٧٨

شيئا لشدة ضعفها."[1]

تصف الأستاذة جميل سرّاج قصيدة "الراهبة" عن تمرد ندرة وأحوال بطلة القصة المعبرة فيها قائلة:

> يتجلى تمرده (ندرة حداد) على الدين في قصيدة جميلة بعنوان "الراهبة" يحكى فيها قصة فتاة صغيرة مات والدها، فزج أهلوها في الدير، فنشأت فيه على الرغم منها وقاست الأمرين من الخضوع للرؤساء فيه، وكبرت وترعرت وأحست الأنوثة تدب في جسمها، فخرجت ذات يوم إلى شاطئ الغدير تبثه نجواها وشكواها، فرأت فتى مقبلا من بعيد، وما اقترب منها حتى أخذ يشكو لها ظلم الناس وقسوة الحياة خارج الدير، وأنه يئس منها فجاء يطلب الغفران ويقضي بقية أيامه متعبداً زاهداً. وهنا تجيبه الفتاة بما يغير نظرته إلى الدير وأهله ورسومه فتحكى له من مظالم حياة الأديار ما لم يكن يعلم ومن قسوة الرهبان وخداعهم ما لم يكن ينتظر.[2]

وليس ندرة متأملا ولا متفلسفا كبعض أعضاء الرابطة القلمية، ولكنه كثيراً ما يجلس وحيداً فيفكر في أمور دينه وأمور دينه،[3] أما أمور دنياه فقد رضي بما كان منها واقتنع بنصيبه فيها وأما أمور دينه فهذه هي التي حيّرته وجعلته يشك ويقلق كما يقول:

إن أمر الدين لغز جعل الناس حيارى

إن طبيعة ندرة حداد في حياته وأخفاقه وصمته لتوضح لنا تلك العلاقة المريرة

---

[1] الناعورى: أدب المهجر، ص١٨١

[2] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٣٧٥

[3] المصدر السابق، ص٣٧٢

الـــتي تطـــورت مـــع الزمن بينه وبين المادة.[1] وكان ندرة يرى الأديان سببا التفلك الإنساني فكان يتشلك في قيمة تنشئة الطفل على دين من الأديان ويتشلك.

في قـــدرة التعمـــيد المســـيحي على ان يزيل الأوزار التي تعلق بالأطفال حين يكبرون،[2] هذا على أن الطفل نفسه لا وزله يقول في قصيدته "الطفل المتنصر"[3]

لئن غسلوا (إدى) وزرا ورثت ولست ذا وزر

فـــمن ذا غـــاسل للنا س آثاماً بلا حـــصر

وفي هـــذه الـــنظرة الثورية يلتئم شمل ندرة حداد، بإخوانه المهجريين، الذين كانـــت الأســـس الأولى في نزعـــتهم الرومانطيقية، ثورة على العادات والشرائع في أوطـــانهم الأصلية. وإذا استثنينا مثل هذه النظرات الفلسفية، وجدنا ان ندرة لم يكن أقـــلّ رفاقه عمقاً فحسب، بل كان أبعدهم عن الروح الجديدة التي سرت في طريقة تـــناولهم للموضـــوعات والفـــرق الأساسي بينه وبينهم لا يقتصر على طريقة التعبير وحدها، بل على اللفظة نفسها أيضا. فالمهجريّون عدا ندرة -حداد يتكئون كثيراً على المـــألوف من لهجتهم المحلية، ويستمدون منها في شعرهم، أما ندرة فالصلة بينه وبين لهجته ضعيفة. فيقول:

فقرّ بعد البحث رأي العموم

.....

وهـــكذا بعد صدور القرار

.....

متسابقين لدعوة القلب طوعا بلا قيد ولا شرط[4]

---

[1] المصدر السابق، ص٢١٨

[2] المصدر السابق، ص٢٢٠

[3] ندرة حداد: أوراق الخريف، ص١٨٦

[4] نقلا عن: عباس ونجم: الشعر العربي في المهجر، ص٢٢١

ويعـــتمد ندرة على الموقف الشعري، خاضعا في ذلك لطبيعته الرومانطيقية، وأكثر مواقفه قرانات مزدوجة، أحد طرفيها الشاعر نفسه، متال ذلك: 'الشاعر ورقة الخـــريف' 'الشاعر والزهرة' 'الشاعر والجبل' 'الشاعر والربيع'. وفي هذه القرانات نســـمعه يقـــول للزهرة: "انت سترجعين، أما انا..." ويقول للجبل: "انت مصدر الجود، ولا عقل لك، أما نحن..." ويقول الربيع: "أنت خالد أما مباى."[1]

فخلاصـــة شـــعر ندرة حداد:هي أن الحب الكبير والألم الكبير ينبعان من القلب الكبير. وأما الحب عنده فهو الحب الإنساني الذي يشد قلب الشاعر إلى كل ما في الوجود بـــرباط من المودة الصادقة التي تحب الخير لكل ما في الوجود وتسعى اليه[2] فحرارة العاطفة وعمق الفكرة ورحابة الروح هذه الثلاثة هي روح قصائد ندرة حداد.[3]

وشعر ندرة مثل واضح للصراع بين التقدم والتراجع، بين السير والعودة. فنجده يقول:

ســـرمعي في الارض تنس المـــال والجـــاه وطمحك[4]

.....

سرمعي في الأرض واعمل حســـنا تبلغ نجحك[5]

.....

فلنسر فالعيش في الـــدنيا لـــذى الهمة أهـــنا[6]

---

[1] د. احسان عباس و د. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر، ص ٢٢٥ وما بعدها

[2] الناعورى: أدب المهجر، ص٤٠٢

[3] الناعورى: أدب المهجر، ص٤٠٣

[4] ندرة حداد: أوراق الخريف، ص١٧

[5] نفس المصدر، ص١٧

[6] نفس المصدر، ص١٠٦

٥- رشيد أيوب (١٨٨١-١٩٤١)

حياته

وُلـــد في بسكنتا بلبنان عام ١٨٨١م وتلقى اللغة العربية والعلوم الإبتدائية في قريـــته ثم سافر إلى مدينة باريس في فرنسا سنة ١٨٨٩م لطلب الرزق وأقم هناك نحو ثـــلاث سنوات[١] ثم هاجر إلى مانجستر (Manchester) في انجلترا، فعمل هناك بتصدير البضـــائع وعقـــد الصفقات التجارية وغيرها من أعمال المال. وعاد إلى لبنان ولكن أحـــوال لبنان في ذلك الوقت لم تكن لتشجعه على المقام فغادر إلى نيويورك في سنة ١٩٠٥م واشتغل بالتجارة وعكف على الأدب العربي والصحافة العربية وفيها انضم إلى زملائه في تأسيس الرابطة القلمية.[٢] ونشر لـــه ثلاثة دواوين فهي "الأيوبيات" في سنة ١٩١٦م و"أغاني الدرويش" عام ١٩٢٨م مع مقدمة بقلم ميخائيل نعيمة "وهـــي الدنـــيا" عـــام ١٩٤٢م مع مقدمة من شكر الله الجُر.[٣] توفى في بروكلن بنيويورك في ٢٧ ديسمبر عام ١٩٤١م.[٤]

---

[١] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٣٤٤

[٢] د. احسان عباس و د. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر، ص ٢٢٩

[٣] هـــو شاعر لبناني، وُلد في قرية يحشوش بلبنان وتلقى تعليمه الإبتدائي في مدرسة الإخوة المريميين ثم هاجر إلى أمـــريكا الجنوبـــية (عاصمة البرازل) عام ١٩١٩م، ملتمسا للرزق عن طريق التجارة. فأنشأ فيها مجلة "الأندلس الجديدة" ثم مجلة "الزنابق" وأصدر ديوانه "الروافد" (١٩٣٤) و"زنابق الفجر" (١٩٤٥). وكذلك أصدر كتابا عن جبران سماه "نبي أورفليس" وكتابه في النقد "المنقار الأحمر".

[٤] المصدر السابق، ص٢٢٩

شعره

كـــان رشيد أيوب شاعراً درويشاً وشاعراً شاكيا حزينا لكثرة ما شكا الزمان وبكـــى حظـــه وردد زفرات الحنين إلى الوطن. على أنه كان بهجة المجالس وواسطة العقـــد بـــين الندامى، لم يعرف بين الأدباء أفكه منه حديثا ولا ألطف ظلا.[1] وهذا الشاعر الباكي الشاكي لـــه شبه قريب بالشاعر حافظ ابراهيم، الشاعر الكلاسيكي في العصر الحاضر، فإن كل قصيدة من شعر رشيد هي أنغام من الأسى، ونغمات من الشـــكوى الصـــاعدة من أعماق قلب حزين، حتى أطلق النقاد عليه لقب "الشاعر الشاكي" وقد كان ينفس عن الشكاة في شعره بالنكتة الحاضرة والفكاهة التي يرسلها في مجلســـه، كما كان شاعر النيل حافظ إبراهيم في نكتته وفكاهته في مجالسه. فيقول الأســـتاذ ميخائيل نعيمة عن شبه في خصائص رشيد أيوب وعن حافظ إبراهيم: "بأن كلا منهما خفيف الروح، حاضر النكتة، لطيف المعشر، فكم أحالا العبوس في بعض الســـاعات إلى حـــالات من الضحك، وكم ساعة تدب ثوانيها في أصفاد من الهم والأسى جعلاها دقيقة ترفرف بأجنحة من الزهو والطرب."[2]

عـــاش رشيد أيوب يهيم في أحلامه حتى لقبه "بالدرويش" وسماه بعض الـــناس "الشـــاعر الباكي" ونرى في قصائده تصويرا حقيقيا لشقاء المهاجرين تعـــبهم وقسوة حياتهم وفي قصيدته بعنوان "المسافر" قصّ رشيد لنا عن أمنيته لـــلهجرة والظـــروف التي كان المهاجرون يواجهونها في المهجر. تقول الأستاذ نادرة جميل سراج شقاء المهاجرين وقسوة حياتهم في المهجر التي مثّل أيوب في هذه القصيدة:

---

[1] صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص٢٠٨

[2] ميخائيل نعيمة: جبران خليل جبران، ص٢٢٤

ولا شـــك أنـــه (رشيد أيوب) لقى في سبيل ذلك شقاء كثيرا وتعسا وقســـوة، وخاصـــة في تلك الأيام التي كان يجوب فيها البلدان والقرى يحمـــل كيســـه فوق ظهره وينادى على ما معه من بضائع على قلوب الســـيدات ترق لـــه فتتقدم لشراء بضائعه. وصعبت على رشيد الرقيق القلب هذه الحياة القاسية وآلمته هذه الغربة المضنية، فنفس عنها في شعره وأتـــى بأبدع القصائد مما نستطيع أن نعده تصويرا حقيقيا بارعاً لشقاء المهاجـــرين وتعبهم وقسوة حياته، وإنما أعنى هنا تلك القصيدة العاطفية الرقـــيقة التي وضعها في أغانيه، وجعل عنوانها "المسافر" إنه يروى فيها قصة هذا المهاجر منذ دعته أمانيه وأحلامه إلى خوض غمار البحار، فلبى نـــداء أحلامـــه واستقر في أرض الغربة، ومرت الليالى وكرت السنون ولكنه لم يعد ويحكى رشيد في هذه القصيدة تلك الظروف التي كانت تقابل المهاجرين فتقسو عليهم الحياة.[1]

ونـــرى معظم قصائده ندرة في ديوانه الأول "الأيوبيات" في الأساليب القديمة والبحور المألوفة لعل السبب في ذلك أنه قد نظمها قبل إنضمامه إلى الرابطة القلمية. وكذلك نجد في هذا الديوان شعر المناسبات.[2] نرى فيه الحنين إلى الوطن فالشاعر فيه صـــبّ مشـــوق، هائم بحب لبنان وسماء لبان وغدران. ذلك أن مقامه في الولايات المتحدة لم يطب، فظل يحن أبداً أن يعود الى بلدته الصغيرة الآمنة. ويزيد حنين أيوب إلى وطـــنه كلما إلى مرور الزمان وكرت السنون، لأن مرورها يقرب إليه اليأس من العودة إلى لبنان ويباعد بينه وبين الأمل في رؤيتها. ويذكر وطنه العربي في كل مناسبة

---

[1] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ٣٤٥

[2] المصدر السابق، ص٣٤٨، راجع أيضا: الناعورى، أدب المهجر، ص ١٠٤

وعند كل خبر يأتيه عن الوطن يسجل شعوره في شعر رقيق وقصائد عذبة فيقول في قصيدة "بلادي" التي نظمها في عهد المؤتمر العربي الباريسي:

خلقتُ ولكنْ كي أموت بها حبًّا لذاك تراني مستهاماً بها صبا[1]

ولعل أبرز قصائد في ديوان "الأيوبيات" هي يائيته التي نظمها في "نكبة لبنان" وصور فيها يائية مالك بن الريب التيميمي في الشكوى. ويتحدث عن أشواقه ووفائه كما يقول فيها:

لا تلوموه فـــذا صب سقيم نازح مسكين

ليس يحييه سوى ذاك النسيم في حمى صنين[2]

وعصارة شعره فتتلخص في ثلاث كلمات: حب وألم وخمر فقصيدته "روضة الحب" جميلة جداً في الموسيقى ولطف التعابير فيقول فيها:

الحـــب في عينـــيك آثـــاره باديـــة كـــالأنجم الزاهره

إذ ليس غير الحب من زارع بنفســـجا في أعـــين فاتره

وزارع الخديـــن من نرجس يسقيهما من كفّه الساحره

صـــيرك الحـــب لـــه روضة أزهارهـــا فواحـــة عاطره

لا تعذلي النحلة إن دنـــدنت حـــائمة مشغوفة حائرة[3]

وأصـــدر ديوانه الثاني "أغاني الدرويش" عام ١٩٢٨م وهي عبارة عن أغنيات خفيفة عذبة في الشوق والحب والطبيعة، متشحة بنقاب من الحزن والألم الدفين فهو يقول في قصيدته بعنوان "سبيل الحب":

---

[1] نقلا عن: المصدر السابق، ص٣٤٧

[2] نقلا عن: الناعوري، أدب المهجر، ص٤٠١

[3] المصدر السابق، ص٤٠١

أنـــا في سبيل الحب أهـــوى العينَ في عبراتها

والطير إن ناحتْ على السأغصان في غدواتها

والريح يحيا العاشق المشتاق مـــن نفـــحاتها

والليل أصغى فـــيه للـــأفـــلاك فـــي رناتها

أنا أعشق النفس التـــي تلتذ فـــي حسراتها[1]

إنـــه يرى في الكابة والحزن لذة ومتعة لا يراها في الفرح والسرور. ويتحدث رشيد أيوب في مقدمة "الأيوبيات" عن نفسه وطرق معيشته ونظرته إلى الحياة فيقول:

يرى الناس الدنيا كأنها عروس منعمة ذات جمال ورونق، وأما أنا فأراها عجوزا هرمة، يرون الجو صافيا مشرقا، فأراه مظلما، يرون وجه الزمان ضـــاحكا فـــأراه كالحاً؛ يغنون يطربون، وهيهات يلذلى سوى ضجيج الأمـــواج وخريـــر السواقى وتغريد العصافير. يشربون الماء ويسكرون بالخمـــر، وشـــتان بيني وبينهم لأن نفسى لا تشرب إلا من ندى الليل المـــتلائي عـــلى الأوراق الساقطة من شجر الخريف ولا تسكر الا من النسيم المتحرش في الوادى الساكن الحامل معانى أسرار الحياة.[2]

ومـــن عادة رشيد أيوب "أن يفحم في دواوينه الشعرية سطوراً من النثر يبين فـــيها آراءه ويشرح أهدافه ويوضح طريقته في الحياة ونظرته إليها. وكأنه يخشى ألا يفهم الناس مقصوده من أبياته غير واضحة في أشعاره".[3]

كان رشيد أيوب أعمق من سائر زملائه إحساسا بأنه هارب، وأكثرهم حديثا

---

[1] نقلا عن: شعراء الرابطة القلمية، ص٣٤٩

[2] المصدر السابق، ص٣٤٩

[3] المصدر السابق، ص٣٤٩

عن اللذة التي يجدها في عزلته وهربه، وأكثرهم إلحاحا على المعاني المتصلة بهذه العزلة وذلك الهرب فهو الدرويش المغترب الذي ينظر إلى النجم ويخفق قلبه للبرق، ويبكى لصـــوت الـــناي.[1] ولاول مرة في الشعر العربي لكاد كل قصيدة لرشيد تتحدث عن صاحبها لتصفه بأنه إنسان ضائع، يسير خلف مالا يستطيع تحديده، مضطراً نافذا إلى غاياته المبهمة من خلال الضباب. وأخيرا تراءى لـــه النور البعيد، مثلها تراءى لزميله نســـيب عريضـــه، فإذا الدرويش الذي كان يرى في كل خطوة لـــه انتصاراً على الحياة، يضع نايه وكوبه والجواب ويهتف لنفسه، فيقول في قصيدته "الضوء البعيد"[2]

أه ما أحلى المغيب

نام قلبي واسترحا

وقضى ذاك الغربي

في الأنام

الصـــراع بـــين الحقـــيقة الواقعية والحقيقة الشعرية ولو اتحدتا لما كان هناك اضـــطراب ولو أحب رشيد واقع الدرويش المغترب حيا واقعيا و لم يخاد نفسه لسلم شـــعره مـــن الاهتزاز والتناقض في القصيدة الواحدة.[3] وقد كان الاتجاه الرومانطيقي واضحا في شعر رشيد أيوب احسان عباس ويوسف نجم:

الصـــورة الرومانطيقية حاضرة بكل قوتها في شعر رشيد، ولنأخذ مثالا واحـــداً منها هو صورة الليل والنجوم. فهي التي تستغرق العزلة والحيرة والضياع والهرب والمناجاة والاستذكار والحنين، والليل يجمع كل هذه

---

[1] د. احسان عباس و د. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر، ص ٢٤٠

[2] رشيد أيوب: أغاني الدرويش، ص١١٠

[3] د. احسان عباس و د. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر، ص ٢٤١

الأمور في ذاته. وبين الشاعر والليل حبّ قوي لا يستنكف الشاعر معه عن أن يكون عبداً لليل، يلحف عليه سائلا ألا ينجلى لأن ظلامه رشد ونور. أما النجم، فليس هو المنقذ الذي يخرج الشاعر من البحر المظلم، لأن علاقته بالليل لا تستدعى منقذاً، وعلاقته بالنجم هي العلاقة التقليدية بين العاشق والنجوم التي يرعاها في الأدب العربي. والنجمة ليست رمزا للإخلاص، وإنا هي غمارة تشير الي أن يمعن في الهرب... والنجم أحيانا مجلى للجمال الإلهى، قد يقترن بالوطن، كما يقترن الليل بسهر الام على تنشئة طفلها، والنجوم كالبرق مثار الحنين إلى الوطن والاصحاب.[1]

كان رشيد ينفر من اتخاذ الشعر مجالا للتعبير عن التأملات العميقة والأفكار الفلسفية وأنه يصف "الحال" ولا يدرسها أو يتعمقها، فليس لديه فكرة ذات بالٍ عن الغاب والزمن والسعادة والشعر الخير والشر والنفس الإنسانية- تلك الموضوعات التي شغلت زملائه وحيرتهم وملأت أشعارهم. وحين يريد أن يأمل نظرته إلى بعض حقائق الكائنات، يقع في اضطراب داخلي واحالة. كما يقول في قصيدته "مرور الزمن".

لماذا الضجيج وماذا الخبر فقالوا قريبا يمر الامير
فلما رأيت جميع البشر يضجون جهلا لأمر حقير
وقفت وحيداً بعين الفكر أراقب وحدى مرور الزمن

وفي قصيدته "أين كنت" نفضت الطاقة الشعرية عند رشيد أيوب كل قدرتها، فإذا قسناها بقصائده الأخرى وجدناها تعلو عليها علواً بينا، وهذاتحديد سلبى، ولكن

[1] المصدر السابق، ص٢٤٢

للقصـــيدة من الصفات الإيجابية ما يحملنا على تقديمها، ذلك لأنها في تدرجها النامى وبســـاطتها الطبيعية، وهذه النغمة القصيرة التي تنتهي بها كل مقطوعة، قد استكملت حدوداً من الجودة. وعيبها ا الشاعر ردد فيها المجازات المتبذله مثل خمر الغرام ووادى الشقاء.[1] ويعلق احسان عباس ونجم على شعر رشيد أيوب قائلين:

ومـــع هذا التحول (الفتى) لم يسلم رشيد في شعره من عيب كبير، ظل بادى الأثر في كثير مما نظمه، وذلك هو انسياقه وراء القصيدة، دون أن يعرف لها حدوداً صارمة، أو يدرك ما الذي يريد منها أن تؤديه. فتجئ قصيدته مبهمة،لا لأنه ينحو منحى الرمز أو يتوعر في مسالك الفلسفة، أو يشط في استغلال المجازات والاستعارات والصور، لا لشيء من ذلك كله، وإنما لأن القصيدة عنده لا تضع لانفعال عميق، ولا تلتزم الدقة في التعبير، بل تتميع حدودها، وينساح موضوعها البسيط، في رقعة واسعة ليس فيها علامات واضحة. وهذا العيب يعترى كثيراً من شعر الشعراء الشبان، في العالم العربي اليوم، لأنهم يظنون ان أي حديث عن الانفعال الطـــارئ على النفس، ينقل للقارئ أو المتلقى حقيقة ما يحسه الشاعر. ورشيد في هذا بعيد كل البعد عن أبي ماضي أو نعيمة، فانها لا يخدعان بالانفعال الطارئ عما يمكن ان نسميه "رسالة" القصيدة أو غايتها، التي لا بدلهـــا من أن تؤديها في نفوس القارئين أو السامعين. وهذه النقيصة تجعـــل القصيدة عند رشيد مبهمة التقاطيع، مختلطة الأعضاء، وتتركها مـــتداخلة متشـــابكة، لا نمـــيز فيها نمواً ولا نجد لها رسما داخليا سليم

[1] د. احسان عباس و د. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر، ص ٢٤٤

الحدود.[1]

إن بـــذور الرومانطيقـــية كانت موجودة في نفس رشيد أيوب وكان من أبـــرز مظاهـــرها في ديوان "الأيوبيات"، تلك الدموع التي ذرفها على الشباب، فلشـــبابه في نفسه صورة رومانطيقية خالصة كما نراها في قصيدته "يا شبابي".[2] وهـــذا، نرى عنصراً رومانطيقيا كبيراً في شعره هو ثورة رشيد من أجل الحرية. كـــان رشيد ثائراً يفهم الحرية فهما جماعيا. وأنه تخلى عن مسؤولية الكفاح في ســـبيل المجموعـــة حراً بمفرده، في قناعته وزهده وقصره الخيالي. يقول رشيد في قصيدته "قصرى"[3]

والـــذة العيش بـــرعى النجوم بين أسى الشاكى ورشف المدام
إذ تطرد الأحلام جيش الهموم إذ تنجلى الآمـــال تحت الظلام
دبى رعاك الله بنت الكـــروم وغـــلغلى في القلب حتى يـــنام

وكانـــت قصـــيدتا رشيد يوب "غروب شمس الحياة" و"مرور الزمان" بطبيعة موضوعها متاراً لتأمله العميق في الكون والحياة والمصير الإنساني.[4] وكذلك لم يخلص الشاعر رشيد أيوب من حيرته بالتأمل في بواعثها أو في أسرار النفس الإنسانية وقواها المتصارعة أو في الحياة بعامة ما يسودها من مآس ومشكلات،[5] لقد شارك رشيد أيضا في حركة الشعر المنثور بقصائده أهمها "الأعمى" و"الشاعر" و"الدرويش" وغيرها كما شـــارك في الشعر الوطني وشعر الحنين إلى الوطن من القصائد ومنها قصيدته "بلادي"

---

[1] نقلا عن: د. احسان عباس و د. محمد يوسف نجم: الشعر العربي في المهجر، ص ٢٣٥

[2] أنظر: رشيد أيوب: الأيوبيات، ص٣٢

[3] رشيد أيوب: أغانى الدرويش، ص١٥

[4] انس داؤد: التجديد في الشعر العربي، ص١٩٧

[5] المصدر السابق، ص١٩٠

التي سبق ذكرها.[1]

وقصـــائد رشيد أيوب قصيرة، والرنة الموسيقية والطلاوة والرقة والبساطة هـــي مميزات شعره. وقد جرى شعره على كل لسان في المهجر لعزوبته وسهولة حفظـــه ثم لانسجامه الحنين مع عاطفة المغتربين[2] وكذلك نجد في قصيدته عذبة الألفـــاظ سائغة النغم وهو يتكلم عن نفوس الشعراء مجتمعة وأجوائها الشاعرية الـــبديعة ويشبه النفس بالبرق تارة وبالريح تارة أخرى، بالروض طوراً وباللحن الجميل طوراً آخر.[3]

---

[1] عبد الغني حسن: الشعر العربي، ص٢٠٢

[2] صيدح: أدبنا وأدباؤنا، ص٢٠٩

[3] نادرة جميل سراج: شعراء الرابطة القلمية، ص ١٣٢

٦- عبد المسيح حداد

حياته

هو أخو الشاعر ندرة حداد، وُلد في حمص (بسورية) عام ١٨٩٠م، وتعلّم في مدارسها الإبتدائية بمدرسة الناصرة الروس في فلسطين. هاجر بعد ذلك مع أخيه ندرة حداد إلى أمريكا منذ عام ١٩٠٧م. وأسس جريدة "السائح" في عام ١٩١٢م وظل يجاهد في سبيل نشرها بين أبناء قومه المهاجرين حتى قامت "الرابطة القلمية" في عام ١٩٢٠م وكان هو من أوائل المتحمسين لفكرتها ومن القائمين بالدعوة اليها فأنعقد في بيته الاجتماع الأول لتحقيق أهداف الرابطة القلمية ومبادئها وأصبحت جريدته "السائح" الحديقة التي يغرس فيها أعضاء الرابطة القلمية أغراسهم الحية والتربة التي يبذون فيها ذخائر أدبهم القوى.[1] يقول الشاعر أحمد زكي أبو شادى عن نشاطات عبد المسيح حداد هذه:[2]

> كان عبد المسيح موسس تلك الرابطة الفذة أصغر أعضائها سنا ولكنه كان أنشطهم ومن ألمعهم تفكيرا وأقواهم إصالة وكان وما زال يدعى "مارك توين العرب [Mark Twain (١٨٣٥-١٩١٠م) الساخر والمازح الأمريكي المشهور] في أمريكا لذكائه الخارق وروحه الفكهية الحلوة النيرة التي يتذوقها الكثيرون في باب "الحان

---

[1] الناعورى: أدب المهجر، ص٤٠٦ وما بعدها

[2] قال أبو شادى عن عبد المسيح: إنه روح "الرابطة القلمية، في مقال له أذاعه من محطة صوت أمريكا ثم نشره في مجلة "القلم الجديد" الاردنية عام ١٩٥٣م.

وأشـــجان" بجـــريدته السائح ولا تزال مجموعة الرابطة القلمية التي صـــدرت في سنة ١٩٢١م و"السائح الممتاز" الذي أصدره في سنة ١٩٢٧م من المراجع الهامة عن روح الرابطة القلمية وهي الروح التي تقمصتها شخصية عبد المسيح حداد.[1]

ألـــف عـــبد المسيح كتابا فيما باسم "حكايات المهجر" وجمع فيه عدداً من أقاصيصه وصور فيها حياة العرب في المهجر. و لم تكن تلك الأقاصيص على شيء من الفـــن القصصـــي، بـــل كانت كما دعاها هو نفسه "حكايات" فقط.[2] أصدر هذا الكتاب عام ١٩٣١م ويقع نحوا من ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير وهو يشتمل على إحدى وثلاثين حكاية فهو يقول في مقدمة الكتاب:

منذ أن أدخلت أمريكا منخرطا بين عالمها السورى ونفسى ترى أشكالا وأوضـــاعا في حالتنا الاجتماعية وصوراً شتى لحياتنا السورية الامريكية وكنـــت كثيراً أسائل نفسى متى يا ترى يتحرك فلم أحد كتابنا فيدون هذه المشاهد لحمل الناس على درس أسرارها. وأما المشاهد التي أعنيها فهـــي مرئـــيات لأسرار ومظاهر لما خفى في النفوس وقد كنت أراها وأقرأها وأسمعها وأحس بها فاجد سعة ميدان لمن شاء من الكتاب تصوير الحياة السورية بأسلوب القصص الصغيرة ولقد ظل هذا الفكر يراودنى حتى كتبت أول قصة "عبد الفطرة" لخاطرة خطرت ببالى أملأ بها بعض فســـحة من صفحات "السائح" و لم أدر إلا وأنا مدفوع من نفسي في ذلـــك الميدان الذي رغبت لغيري من الكتاب ولوجه فما ظهرت تلك

---

[1] الناعورى: أدب المهجر، ص٤٧

[2] الناعورى: أدب المهجر، ص٤٠٧

القصـــة حتى رأيتني محاطا بأصدقاء يسائلوني: كيف خطر ببالى تصنيف قصة هي صورة طبق الأصل بمشهد من مشاهد حياتنا في ديار المهجر ثم شـــعرت بـــيد لطيفة ممسكة بيدى تلك كانت يد عميد الرابطة القلمية جـــبران خليل جبران يقولى لى: أريد أن أقرأ لك قصة من هذا النوع في كـــل عـــدد مـــن أعداد جريدتك ولا عذر لك عن عدم القيام بذلك فامـــامك ميدان واسع ولجته فتعمق في شناياه وغص إلى قاعه وجئنا بما تغوص عليه.[1]

كـــان يحـــرّر عـــبد المسيح حداد "السائح" نحوا خمس وأربعين عاما وكتب إفتتاحياتها ولو جمعت لكان لـــه من ذلك عدد من المؤلفات وكذلك كتب الطرائف والنوادر الحلوة البارعة والنخزات السريعة اللاذعة في باب "ألحان وأشجان" لوجمعت ستصير كتابا ضخما كبيراً.[2]

ولقـــد ظلـــت جريدة "السائح" تصدر عن نيويورك إلى أواخر عام ١٩٥٧م فمـــات أخـــوه نـــدرة حداد وأعضاء الرابطة القلمية واحداً بعد واحد فباع حقوق جريدته إلى زميله السابق راجى الظاهر مؤسس جريدة "البيان" فاندمجت "السائح" في "البيان" وكان من شروط البيع والدمج أن يكتب عبد المسيح في كل عدد من أعداد "البيان" مقالا أو أكثر.[3]

زار عـــبد المسيح حداد بلدان أمريكا الجنوبية عام ١٩٤٩م زيارة دراسية غير صحفية ولمس في حفلات الترحيب مبلغ التقدير الذي تكلنه الجوالى العربية

---

[1] المصدر السابق، ص٤٠٩

[2] المصدر السابق، ص٤١٠

[3] المصدر السابق، ص٤١٠

لأدبه وفضله.

هكـــذا ترك عبد المسيح حداد كتابا واحداً بعنوان "حكايات المهجر" ولكن هـــناك خمســـة وأربعين مجلدا من السائح نجد فيها مقالات وأحاديث وفصولا أدبية وأقاصـــيص بارعة تعتبر أفضل دعاوة للأدب المهجري وأصدق تاريخ لمراحل النهضة الدبـــية- فكل أديب- مهجري مدين ببعض شهرته لصاحب "السائح". فقد ارتقت الصحافة العربية في نيويورك إلى مستوى رفيع بفضل جهود هذا الكاتب الكبير.

خاتمة البحث

نستطيع أن نلخص نتائج البحث لهذه الدراسة التحليلية والنقدية كما يلي:

خضع الأدب العربي في أمريكا لتطورات واسعة من جراء نشاطات أدباء المهجر الأدبية والفنية. وكان أدباء المهجر الشماليون يعملون باستمرار وبإخلاص النية لكي يخلقوا أدبا حراً قوياً بالمعاني والأفكار السامية والذي لا يتقيد بتقاليد القدامى وقواعد اللغة الثابتة وقواعد العروض أي يتسم بالتحرر من قيود الأوزان والقوافي والجزالة اللفظية والموضوعات القديمة التي تكبّل أجنحة الأدب القوية دون التعليق والسمو. وكذلك أخذ أدب المهجر منذ نشأته في أمريكا ولاسيما في الولايات المتحدة الأمريكية يظهر ملامح الثورة على التراث العربي القديم ذلك لأن رائده أمين الريحاني وزعيمه جبران كانا يملكان نزعة ثورية وكان لهما ثقافة واسعة باللغات الغربية وآدابها خاصة بالأدب الإنكليزي والأمريكي. حرّر ملتن (Milton) و شكسبير (Shakespare) الشعر الإنكليزي من قيود القافية وكما حرّره والت ويتمان (Walt Whitman) من قيود الأوزان الإصلاحية والبحور العرفية. وكذلك سعى معظم أدباء المهجر وشعرائه في الشمال إلى تحرير الأدب العربي من قيود القوافي والأوزان ومن قواعد اللغة الجامدة قاموا لأجلها بمحاولات قدر مستطاعهم فوفق معظمهم في مساعيهم ومحاولاتهم. وقد أثمر احتكاك الريحاني وجبران بالأدب الإنكليزي والأمريكي أولى ثمراته الأدبية في الأدب العربي الحديث في صورة الشعر المنثور أو الشعر الحر والنثر الشعري بابداعهما فيه. يجدر بالذكر هنا أن الشعر المنثور مطلق من

قيود القافية والأوزان الإصلاحية والبحور العرفية.

وجـــدّد شـــعراء المهجر في أوزان الموشحات الأندلسية وفي بحورها المختلفة. فأنشـــأوها على مختلف البحور والأوزان. ونرى أنهم يتحركون داخل اطار التنويعات الـــتي لجـــأ اليها الوشاحون أي أنهم يتحركون داخل النظام المتوارث لموسيقى الشعر العربي. برع رشيد أيوب في تنويع القافية وتوزيع التفاعيل. فنظم موشحة عذبة رقيقة في قصـــيدته بعـــنوان "ذكـــر لبنان" ونظم أيضاً موشحة في الحنين بعنوان "خلياني". كذلـــك دخل نسيب عريضة في موشحة نغم الموسيقى من زيادة في التفاعيل أو نقص منها وقسّم موشحة إلى مقطوعات تتميز كل مقطوعة منها بنغم خاص وتسير في بحر معين. ومزج شعراء المهجر الشمالي في معظم أشعارهم أساليب الموشحات الأندلسية وأساليب النظم عند الغربيين من جهة أخرى. فشعرهم الجديد متأثر من جهة بطريقة الـــنظم الأندلســـية ومن جهة أخرى بأساليب النظم عند الغربيين. وإن معظم أدباء المهجـــر اطلعوا على اللغات الأجنبية وآدابها وفنونها وأساليبها واستفادوا منها استفادةً تامـــة. هكـــذا استطاعوا أن يجمعوا في حريتهم الأدبية بين قوة المعاني وصدق التعبير وبراعة الصور وبساطة الصياغة وأنغام الموسيقى. وأدركوا أن صدق التعبير وبساطته وأنغامـــه الموسيقية عنصر رئيس للشعر. فبدأ نعيمة شعره على وزن معين وقافية معينة وكل قصائده في ديوانه تتخلى عن كل قيد وتنفر من كل جبس.

ومن أوضح ملامح التجديد في أوزان الشعر وبحوره أن شعراء المهجر الشمالي يجمعـــون بين شطري البيت الواحد في وحدة متماسكة تزيد من جمال أدائه واتفاق كـــلماته وعـــلى النحو جرى ميخائيل نعيمة في معظم أشعاره. وقسم شعراء المهجر الشـــمالي أشعارهم إلى مجموعات من الأبيات بعضها مكوّن من ثلاثة أبيات وبعضها مـــن بيتين وكل مجموعة تأتي على قافية واحدة مخالفة لسابقتها كما قسم أبو ماضي

قصيدته بعنوان "أمة تفنى وأنتم تلعبون" التي ذكرها في الفصل الثاني من هذه الدراسة. إن شـــعر نعـــيمة نراه زاخراً بالنغم الموسيقى المنساب في مجراه انسيابا لا يعرف معه التوفيق في سبيل التمييز بين صدر وعجز. ويجدر بالذكر هنا أن شعر المهجر الشمالي خاصـــة إمتاز بالموسيقى الشعر التي تناسب من خلال أبياته وتوحى بها أوزانه وقوافيه وتـــتجاوب لها النفوس وتتأثر بها القلوب في سهولة دون أي تكليف ولهذا أطلق عليه الدكتور محمد مندور اسم "الشعر المهموس".

وكذلـــك ابتدع شعراء المهجر التجديد في موضوعات قصائدهم وأفكارهم أكـــثر مـــن الـــتجديد في أوزانها وأساليبها. فهم استعملوا البحور القصيرة والمجزوءة التفاعـــيل في أكثر قصائدهم كالموشحات. وكان شعرهم غنيا باتساع الأفق وبساطة التعـــبير والتأمل الفكري والشعور الإنساني والوطني الواسع من الأحاسيس الإنسانية الرقيقة مثل قصيدة "أخي" و"أوراق الخريف" لنعيمة وقصيدة "النهاية" لنسيب عريضة و"المواكب" لجبران. وأعجب النقاد العرب ببعض القصائد التي نظمها الشعراء المهجر في الشـــمال في أســـلوب مبتكر ومعان زاخرة بالوطنية والقومية والحنين إلى الوطن العربي. إن شعر الحنين المهجري هو إحدى زوايا الشعر الذي صنعه الاحساس المدير بالاغـــتراب عن العالم العربي. وقد أسهم معظم شعراء المهجر بنصيب وافر في الحنين إلى الوطن فاختلطوا الحنين إلى لبنان بذكر أمجاده والإشادة بجماله.

ميزة التأمل الفكري هي من أبرز الميزات التي تميز بها أدب المهجر الشمالي عن أدب المهجر الجنوبي فحسب بل عن سائر الأدب العربي القديم والحديث. نستطيع أن نقـــول إن الأدب العربي لم يعرف الأدب التأملي قط كما عرفه أدب المهجر بشكل جديـــد رائـــع وبعمق وقوة وحيوية وجمال. واعتقد أدباء المهجر بأن بساطة التعبير والرقة الغنائية عماد الجمال في الشعر وفي الفن ولذلك كان شعرهم وأغلب من نثرهم

بسيطا إلى صدور القراء في العالم العربي وفي المهجر على السواء. فأخذ أدباء الشباب والـنقاد في الشـرق العربي ينظرون إلى نثر نعيمة وجبران والريحاني وغيرهم. لإنهم إنطلقـوا الأدب العربي من اعتبارات الجماهير والتقاليد القديمة ومنحوا أنفسهم الحرية والـتحرر مـن قيود العروض وقواعد اللغة التي كانت قليلة في كتابات أدباء الشرق العـربي وشـعرائه في نـثرهم وفي شعرهم على السواء. ولذلك نجد في أدب المهجر الشمالي شيئا جديداً من الحرية والبساطة في التعابير والأساليب والموضوعات الأدبية. هكـذا نشـأ أدب المهجـر في أمريكا الذي جدّد حياة الأدب العربي وساعد أكبر مسـاعدة عـلى نهضة الأدب العربي وتطوره. وترك أدباء المهجر آثارهم الرائعة من الشعر والنقد والقصة القصيرة وما إلى ذلك في الأدب العربي الحديث.

وكذلك أدب المهجر يحتل مكانة بارزة في تاريخ الأدب العربي بالحرية الدنية، وهي الفكرة السائدة التي غلبت على أدب المهجر وهي عامل عظيم التأثير ركن من أهـم الأركـان التي جعلت أدب المهجر يظفر بالتقدير والإعجاب ليس في أمريكا فحسـب بـل في الشرق العربي أيضاً. ففي مؤلفاتهم نجد الحرية في التفكير والتعبير والمناقشـة والتفسير لشؤون الدين بعيدا عن روح التعصف والجمود والتسليم الأعمى والمهاترات الطائفية والنـزعات المذهبية. فكان أدب المهجر محرراً وجديداً وغربيا و لم يألفه الشرقيون المحافظون من قبله في العالم العربي. فكان أدب المهجر خلاصة العناصر القوية الحية في روحانية الشرق مسكوبة في أبرز شكل وأروعه من رومانتيكية الغرب العصـرية. وقد وفق معظم أدباء المهجر في الشمالي بين روحانية الشرق ورومانتيكية الغـرب. وكذلك وفقوا بينهما بطريقة الصوفية. فأغلب أدباء المهجر تأثروا بما بينهم مـن الأفكار والأساليب أولا ثم تأثروا بما يحيط ثانيا ويشعرون بالطبيعة شعورا عميقا ويحنون إلى أوطانهم حنينا جامحا ويبحثون عن حقائق الحياة الكبرى بحثا دقيقا وكانت

الطبـــيعة مصدرا لأكثر الصور الشعرية عند المهجريين وهذا من البديهي عند مجموعة من الشعراء التي ترتبط بالطبيعة ارتباطا نفسيا وثيقا.

وإن نـــزعة الهـــرب والمواجهة في شعر المهجر الشمالي نبعت منهما مدرسة رومانتيكـــية مـــتكاملة الملامـــح. وإن نزعة الهرب من الحياة المدنية والضغط والحياة القاسية والميل في الرجوع إلى الحياة الطبيعية والحياة الفطرية البسيطة ليست تخليا عن الأمـــال الإنسانية ومعها نزعة التقدم الإنساني وثورة على التقاليد القدامى ودعوة إلى المـــثل الإجتماعية العليا في مستقبل أجمل. فنجد شعراء المهجر الشماليين تكتمل فيهم خصـــائص الرومانتيكية في نزعتي الهرب من المجتمع والحياة المادية والمواجهة لمشاكل الحياة والدعوة إلى الحياة الفطرية في أكناف الغاب أي الطبيعة تتصل بالرغبة أن يتغير ذلـــك المجتمع وإعادة المجتمع عن قضاياه. وكان يحسن جبران أنه ليس مغتربا فحسب عـــن وطنه العربي بل أنه غريب في الوطن الجديد أي أمريكا وكان ثائرا على أوضاع وطـــنه الأصلي الإجتماعية والدينية واللغوية والأدبية وحاول أن يغير هذه الأوضاع والظـــروف محـــاولات شـــديدة تتجلى في كتاباته المتمردة والثائرة. وأنه هارب من متناقضـــات الوطن العربي يأخذ هذا الشعور بالحدة حين يصحو على بيئة جديدة في أمـــريكا تكفل الحرية للفرد ولكنها تجعله عبد للمادة فيها. وكان يتمثل هذا الموقف فيما يسمى أحيانا الصراع بين المثالية والمادية أو الصراع بين روحانية الشرق ومادية الغرب. ونرى أن مدرسة المهجر حين أرادت أن تثور على الأوضاع في الوطن العربي كانـــت شـــرقية في دعائمها الفلسفية وروحها المتصوفة المثالية ودعوتها الزهدية. وان إعتماد الحب أساسا لهذه الحركة الفنية.

ومن أجل ذلك كله عرضت صور الصراع في هذه الدراسة وهو صراع ذاتي في نفـــس معظم أدباء المهجر الشمالي. فهذا الصراع يتخذ عنفا جامحا للتخلص من

الجسد أو للتخلص من ثنائية بين الجسد والروح والحياة والموت وما إلى ذلك ويشمل العلاقـــة بين القلب والعقل والخير والشر. وكما تحدثت في الفصل الثاني والرابع من هـــذه الدراســـة عن الغاب أي عن السعي وراء الخلود والصراع للتخلص من الثنائية (بـــالموت المرعحـــب أو بالهـــرب إلى عالم الكمال والخلود الغاب) بدل على فردية خالصـــة. مثلا قصيدة "المواكب" لجبران نيراس فلسفي تعشو اليه روح الشعر المهجر عامـــة وأنهـــا كانت أبعد القصائد تأثيراً في شعر المهجر الشمالي لأنها قصيدة الحياة وصـــورة المواكب الإنسانية التي شقت الطريقة اتسعت إلى السعادة والحرية والخلود. فالمواكب ملخص التأملات والأفكار لجبران التي تمثل بحوار الشيخ الذي يرمز للحياة البشرية وبين الشاب الذي يرمز للحياة في الغاب أي الطبيعة. وبعبارة أخرى فالشيخ قـــد يرمز للحياة المادية والمدنية في الغرب والشاب قد يرمز للحياة الطبيعة والروحية والحياة البسيطة في الشرق.

هذا وكان جبران فنانا رمزيا ورسم في ديوانه "المواكب" أحد عشر رسماً ترمز إلى معانيها ولكن رسوم جبران الرمزية لا يسهل أن يفهم بجمالها وتأملاتها الخيالية التي أخفاهـــا الفنان وراء تلك الخطوط الا طائفة خاصة من ذوى الأوذاق الفنية الدقيقة. وكل متأمل في الرسوم الرمزية يستطيع أن يفهم جمالها التي أرداها جبران. كما كان شـــاعرا فـــنانا يرسم بدم القلب ويكتب بعصير الروح وكان يتغنى بسعادة البشرية ويـــبكى بأوجاعها وأحزانها. ولقد أحسن التعبير والتصوير في ديوانه هذه الذي كان فـــنا جديـــداً حينذاك في الأدب العربي الحديث. هكذا نستطيع أن نقول إن قصيدة "المواكب" تحتل مكان الصدارة في الشعر العربي الحديث عامة في شعر المهجر خاصة لموضـــوعاتها المتـــنوعة وتأملاتها الفلسفية والإنسانية. فالمواكب قصيدة فلسفية تعالج قضـــايا الحياة الفلسفية والمعنوية والسعادة والشقاء. وكذلك نرى أن جبران ثار على

مظـــالم الحكام والتقاليد القديمة ورجال الدين والطقوس الدينية في هذا الكتاب كما فعل في كتبه الأخرى.

وهكـــذا ثـــارت مدرســـة المهجر الشمالي في الشعر العربي على الموضوعات المصـــمت الصـــلد المتحجر يدير الشعر ادارة مباشرة على موضوعات الغزل والرثاء والهجاء والمديح وعلى قواعد الأوزان والقوافي وقواعد اللغة الثابتة. فأصبح الموضوع في أكـــثر أحواله يمثل استجابة داخلية وانطلاقا من دائرة التقليد. وتحدثت كثيرا عن الصراع الداخلي فيها واخلصت لموضوعها إخلاصا لا يعيقه الوزن الرتيب والتنميق. ومنحـــت هـــذه المدرســـة قوة الخيال حرية مطلقة وتركتها تستبد بإخراج القصيدة وتوجههـــا. غير أن موروثها الصوفي جعلها تتصور الحياة "رحلة" فاحتفظ شعراؤها بصور البداوة من قافلة وخيمة وركب ومطية ونارو... الخ وأكثر هؤلاء الشعراء من المصـــطلح الصوفي وهو امر زاد في قدرة القصيدة على الإيحاء ولكنه جنح بالشعر في صعيد ضيق.

ووقـــفت نـــاقدا في طريق المهجريين عقبتان. الأولى أن محصولهم الثقافي كان محـــدوداً بحـــدود ضيقة إلى جانب تعاليمهم العربية الثقافية و لم تسعفهم الأيام على توســـيعها وتعميقها. وقد حاول جبران هزيداً من الثقافة ولكن اعتماده على البصيرة ظـــل أقوى من ثقافته واتيح لـــه خيال جامع مستبد يسحق كل ما يجده في طريقه ويصنعه من جديد وينفخ فيه روحا جبرانية. وتغلب أبو ماضي على هذا النقص بقوة "الإدراك النفسي". أما نعيمة وهو أوسعهم اطلاعا في اللغة فانصرف عن الشعر إلى نثره ووضح انحصار نسيب عريضة في حدود "الفلسفة السينائية" إلى حد يبعث على الضيق وبقى رشيد وندرة يمثلان هذه السطحية بوضوح.

أما العقبة الثانية فهي اللغة العربية أو سلامة التعبير لغويا، وقد وقع بعضهم في

أخطاء لغوية تجافت عن جانب السلامة إما لهذا الحصول القليل وأما لأن الرومانتيكية تتساهل في جانب اللغة وسلامتها وقوة التركيب وجزالته. وتفاوتوا بعدئذ في طريقة التخلص من هذه الأزمة. فذهب أبو ماضي كالنسر يعيد قوى الطير وضعيفه لا يهمه كيف وقعت العبارة ما دامت تؤدى الخاطرة أو المعنى. وقصر نعيمة مجال النغمة وتخلص من الاضطرارات الإعرابية وجعل من قصيدته غنية لبناية. وارتد رشيد إلى الموشح القصير الغصون فأجاد فيه واعتمد نسيب عريضة النغمات القصيرة والقوة المتفعلة في صور الاستفهام والعرض والتحفيض ووقع ندرة -حداد منحية لهذا القصور وفتخلف عن رفاقه.

كانت توجد بالمهجر فئات أخرى مع الشعراء المجددين فثمة اتباعيون وثمة منحرفون بدعوة التجديد يظنونهم خروجا عن الوزن واهداراً لقيم الموسيقى واللغة ولكن بينت في الفصل الثاني من هذه الدراسة أن هؤلاء الشعراء في الشمال لم يخرجوا عن دائرة التراث العربي في أوزان الشعر وقوافيه خلافا لما ظنه بعض الباحثين، ولكنهم اعتدادا بالتعبير بالصورة بل ذهبوا إلى ابداع اللوحة الشعرية والقصيدة ذات البناء المتماسك، والى إبداع الشعر القصصي ذات المغزي الإجتماعي والفلسفي، والمطولات التي يتداخل فيها القص والحوار، ويمتزج الواقع بالأسطورة وتتنوع القوافي والأوزان.

فنحن نتناول مشاركة أدباء المهجر الشمالي في الفنون الأدبية المتنوعة النهضة الأدبية الحديثة وفي تطويرها. وكما تتناول الشعر المهجري بنظرة شاملة كحركة وكتيار وكمدرسة. وقصرت بحثى على مساهمات أدباء المهجر الشماليين في تطوير الأدب العربي لم استعر من مساهمات أدباء المهجر الجنوبي وشعرائه... أما لمساهمات هؤلاء الأدباء فهي تحتاج إلى دراسة مستقلة تقوم بتعريفها وتقيم انتاجاتهم الأدبية. فما

يزال ميدان هذا البحث ذا سعة:

١- ما تزال في أدب المهجر أو مدرسة المهجرية جوانب من البحث تحتاج إلى مزيد من عناء الدرس، كتجديد المهجريين في المعجم الشعري الذي يحتاج إلى بحث مستقل يتناول بالمقارنة مع معجم المهجريين مع معاجم شعراء العصور الأخرى ومع معاجم المدارس المعاصرة كمدرسة الديوان ومدرسة أبولو وهو بحث شاق وشائق أتمنى لوينهض به أحد الدارسين.

٢- كما أرجو أن تتاح الفرصة لأحد الباحثين لدراسة الصور الأدبية في فن جبران ومكوناتها وخصائصها وأثرها في الأدب العربي الحديث.

٣- وما يزال أدب المهجر وشعره الذي يحتاج إلى الدارسة المقارنة مع المدارس التجديد المعاصرة... وما يزال أثره في الشعراء المعاصرين في حاجة إلى دراسة مستقلة.

٤- وما يزال كتّاب المهجر الكبار وشعراؤه الأفذاذ في حاجة إلى عناء الدراسة الجامعية وأسلوبها العميق. فثمة الريحاني بانتاجه المتعدد الجوانب في الفكر والفن باللغتين العربية والإنكليزية لم تظفر به إحدى هذه الدراسات، وثمة "الشاعر القروي" بديوانه الضخم المترامي الأطراف والعميق الأغوار معا، بعيد عن مجال الدراسات النقدية...

٥- فثمة "جبران وبليك (Blake)" في حاجة إلى الدراسة المقارنة بين حياتهما وروح كتاباتهما ورسومهما وفلسفتها وثورتهما الأدبية... وما إلى ذلك.